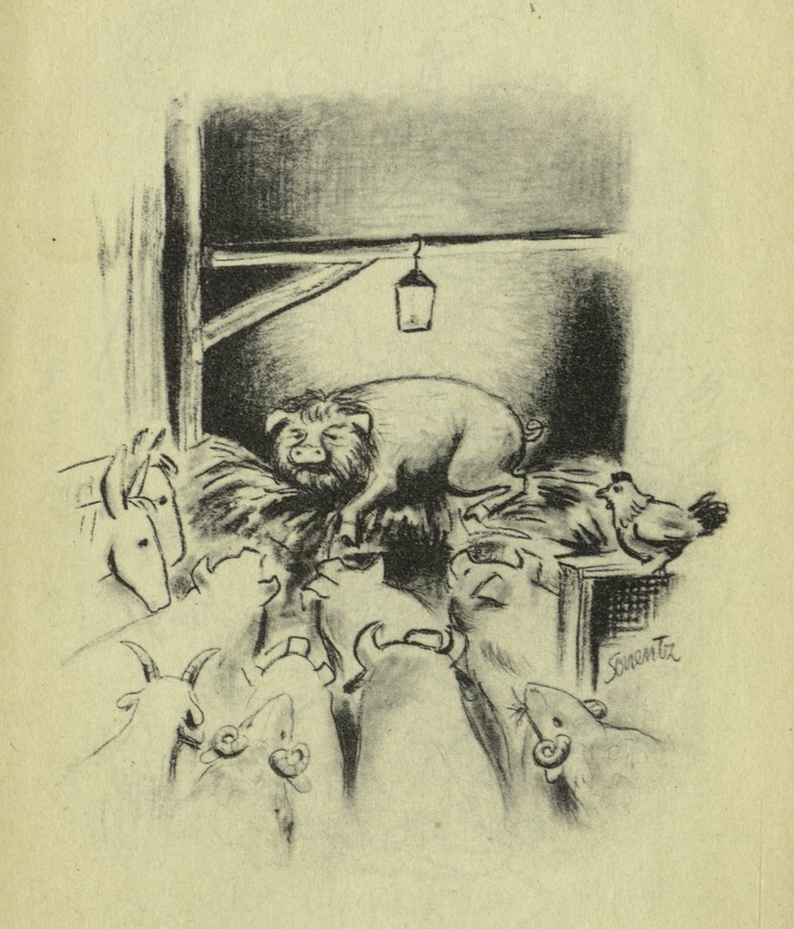
اسطورة
الحيوانات الثائرة

بقلم
الأستاذ عباس بك حافظ

ترجمة قصة
"ANIMAL FARM"

لمؤلفها
George Orwell

قامت بنشرها دار المعارف بمصر



« الحلوف الاكبر يلقى خطابه » ص ١١



« المعركة فى ذروتها » ص ٦٠

كلمة الناقل

رأينا فى الأدب القديم كتاباً وفلاسفة يختارون حشد أفكارهم ومذاهبهم وحكمتهم على صورة نوادر ، أو حكايات ، أو فى رموز وإشارات ، يسوقونها على ألسنة الطير والبهائم والأنعام ، لتدخل ألطف المداخل على النفوس ، وتستحوذ بغرابتها على الألباب ، سواء أخذها العامة على ظواهرها ، وفتنوا بالرموز منها دون الجوهر واللباب ، أو أدرك الخاصة منها المرامى ، وفطنوا إلى المقاصد والأهداف .

ولعل خرافات « عيسوب » ، وحكايات « لافونتين » ، فى مقدمة هذه الكتب الرمزية التى سجلها التاريخ الأدبى للحضارة منذ أقدم العصور .

وجاء كتاب « كليلة ودمنة » والتمهيد البديع الذى سيق فى مطلعه على لسان بيديا الفيلسوف ودبشليم الملك ، فكان من التواليف المخلدة التى فتنت الدنيا على كرة الأجيال والسنين .

ولا يزال الكتاب على جدته ، كأنه كتب ليومه ، حريصاً

على طلاوته ، لا يمل الخاطر قراءته على التكرار ، وكلما عاد إليه وجده طريفاً لخاطره ، متجدد المتعة لا يمل المرء معاودته ، وإن ظن أنه قد كبر أو تناهى العلم لديه والتحصيل .

وأحسب الناس قد سئموا القصص المنقولة من الآداب الغربية لكثرة ما سبق إليهم منها ، وترادف معانيها فى جانب واحد من الحياة ، أو تكرار مآسى الحب وأحداثه ومطاويه ، فلا معدى لهم عن شيء طريف يتفكهون به ، وقصة رمزية تجرى على ألسنة البهائم لتصوير فكرة طارئة أو التمثيل لمبادئ عارضة ، يسمعون عنها ويقرأون ، ما لا يكادون يدركون منه وجه اليقين .

وقد عن لى فى هذا الباب أن أنقل هذه « القصة » الرمزية ، فى تصوير هذه المبادئ ، ورسم معالمها البارزة فى تاريخ « الثورة » التى جاءت بها ، وسير الأحداث التى جرت فى البلاد ذاتها التى خرجت منها ، حتى كادت تباعد بين المبدأ والواقع وتتجافى فيها التعاليم والحقائق الراهنة .

وقد تواتى لصاحب القصة ، وهو جورج أورويل George Orwell ، أن يجعل لكل شخصية فى تاريخ هذه الثورة ومعقباتها رمزاً ، ويرسم لكل بطل من أبطالها لوناً ،

فجاءت القصة على نسق الحوادث ، وإن سيق أصحابها مساق البهائم والأنعام ، حتى ليكاد الذين قرأوا التاريخ يلمسون الأشخاص فى رموزهم لمساً، وإن مضى القارئ الساذج يتنقل بين أبوابها وهو معجب مفتون بأن يتحدث الخنزير ، ويتكلم البقر ، ويتصرف الفرس ، ويفعل الحصان .

وكان « جورج أورويل » من خيرة الكتاب البريطانيين المحدثين خيالا ، وأخصبهم مادة ، وأبدعهم أسلوباً ، وكانت وفاته فى العام الماضى ، بعد أن ترك طائفة من المؤلفات انتزعت من الناس الإعجاب انتزاعاً .

ولست أريد أن أستبق القارئ فأشرح له مغزى المؤلف ومراده ، أو أدله على الشخصيات الحقيقية من خلف رموزها وشاراتها ، فأفسد عليه اجتهاده ، وأوهن قوة الكاتب وبراعته واستشهاده ، بل أوثر أن أضع القصة بين يديه ، ليأخذها كما هى ، أو يعمل فى ثناياها تفكيره ، ويتغلغل من ظاهرها إلى الحقيقة التى استنتجها المؤلف بعد دراسة ، وكان من قبل بها مستريباً ، فلم يلبث أن حسر بها القناع عن وجه الحق ، وانتهى منها إلى إيمان المؤمنين . . .

مارس سنة ١٩٥١ — عباس حافظ

— ١ —

أقفل المستر جونز تقفيصة الدجاج عندما جن الليل ولكنه من فرط السكر نسى أن يغلق الفتحات فيها ، وانطلق على ضياء مصباحه المتراقص يجتاز فناء البيت ، حتى إذا بلغ الباب الخلفى ، خلع نعليه ، وصب لنفسه الكأس الأخيرة من البيرة فى « الدن » القائم فى المطبخ ، فشربها ، وذهب إلى الفراش حيث كانت امرأته تغط فى النوم .

وما كاد النور ينطفئ فى المخدع ، حتى تعالت الحركة فى أبنية المزرعة وترامى رفيف أجنحة ، ودبيب أقدام .

وكان النبأ قد سرى فى النهار بين سوائم المزرعة وأنعامها وبهائمها بأن الحلوف الأكبر الذى كان معاشر الحيوانات فى الضيعة يدعونه « الميجور » رأى فى الليلة الماضية حلماً غريباً وأحب أن يقصه عليهم ، وتم الاتفاق بينهم على الاجتماع فى « الجرن » الكبير بعد أن يأوى المستر جونز إلى فراشه ، ويطمئنوا إلى غرقته فى نومه .

وكان للحلوف الأكبر مكانة مرموقة بين معاشر البهائم

فى المزرعة فلم يتردد منهم أحد فى الحرمان من النوم الهنى ساعة أو بعض ساعة لسماع قصته .

وكان « الميجور » فى ركن من « الجرن » ، على إفريز مرتفع ، يشبه « المنبر » قد استوى فوق فراش من القش ، تحت مصباح معلق ، وكان فى الثانية عشرة من العمر ، وقد بدأ يسمن ويترهل ، وإن ظل جليل السمت ، بادى الوقار ، تلوح عليه أمارات الحكمة والطيبة والخير ، وإن لم تترم يوماً أنيابه .

وما لبثت الحيوانات الأخرى أن بدأت تتوافى إلى الاجتماع وتتخذ مجالسها منه .

وكان أول القادمين الكلاب الثلاثة فى المزرعة ، وهم بلوبل ، وجيمى ، وبنشر ، وتبعهم الخنازير ، فاستقروا فوق القش أمام المنبر مباشرة ، وجاء الدجاج فحططن فوق الأكوام ، وأقبل الحمام فرف على الأكداس ، وبادر الغنم والبقر فجلسوا خلف الخنازير ، وبدأوا يجترون طعامهم كدأبهم .

ووصل الحصان « بوكسر » والفرس « كلوفر » معاً يمشيان على مهل ، ويخففان من دبيب حوافرهما الكبيرة محاذرين خيفة أن يكون فى جوف القش حيوان دقيق مختبئاً فيدوساه .

وكانت « كلوفر » فرساً ضخمة حنوناً يكاد العمر ينتصف

بها ، وقد ولدت وعشرت أربع مرات ، فترهلت ولم يعاودها شكلها القديم .

وأما « بوكسر » فكان حصاناً يجر العجلة ، مرتفع القامة شديد البأس ، حتى لتبلغ قوته قوة حصانين مجتمعين ، وقد انحدرت على أنفه غرة بيضاء ، فلاح منظره بها غريباً ، يوحى الغباوة ، وينم عن السذاجة والبله ، ولم يكن فى الواقع على شىء كثير من الذكاء ، وإن كان محترماً من معاشر البهائم لاستقامة خلقه ، ولين عريكته ، وقوة جلده على العمل .

وجاء بعد الحصان والفرس ، الجدى الأبيض « موربيل » والحمار « بنيامين » وكان هذا أقدم حيوان فى المزرعة ، وأسوأ البهائم مزاجاً ، فقلما كان يتكلم ، وإذا هو يوماً تحدث ، لم يفتح الله عليه بقول طيب ، وإنما أكثر كلامه النادر استهزاء وسخرية ، فقد كان مثلا يقول إن الله قد وهبه ذيلا ليذود الذباب عنه ، ولكنه لن يلبث أن يستريح من الذيل والذباب معاً ، حين ينتهى العمر به ، وكان الحيوان الأوحد الذى لم ير يوماً ضاحكاً ، فإذا سئل لم لا يضحك ، كان جوابه أنه لا يجد شيئاً يستحق أن يضحك منه ، ولكنه كان مخلصاً للحصان « بوكسر » محبا له ، وإن لم يعترف صراحة بما فى نفسه له ،

فكانا يقضيان معاً أيام الآحاد فى المربط القائم خلف البستان ، يأكلان الحشائش جنباً إلى جنب ، وهما صامتان لا يتبادلان قولا .

ولم يكد الحصان والفرس يجثمان فى مكانهما حتى رفت « أوزات » صغار فقدن أمهن ، مخافتات بصريخهن متنقلات فى كل ناحية ليخترن مكاناً لهن لا يدوسهن فيه أحد .

وكانت ساق الفرس « كلوفر » بمثابة حاجز يقيهن فحططن تحتها وما لبث النوم أن غشيهن .

وفى اللحظة الأخيرة أقبلت « مولى » الفرس البيضاء الخرقاء المدللة التى تجر مركبة السيد جونز كلما خرج إلى المدينة ، وهى تتهادى فى مشيتها ، وتتخطر مدلة بحسنها ، وتتلمظ بقطعة من السكر فى فمها ، وراحت تتخذ مجلساً لها فى المقدمة ، وتنشر معرفتها البيضاء ، على أمل اجتذاب الأنظار إلى الأشرطة الحمراء التى انعقدت حولها زينة وتطرية . . . !

وكانت القطة آخر من جاء ، وهى تتلفت حولها كعادتها لتبحث عن مكان دافىء ، وانثنت بعد البحث تحشر نفسها بين الفرس والحصان ، وهى تهر راضية فارغة البال ، دون أن تسمع كلمة واحدة مما يقال .

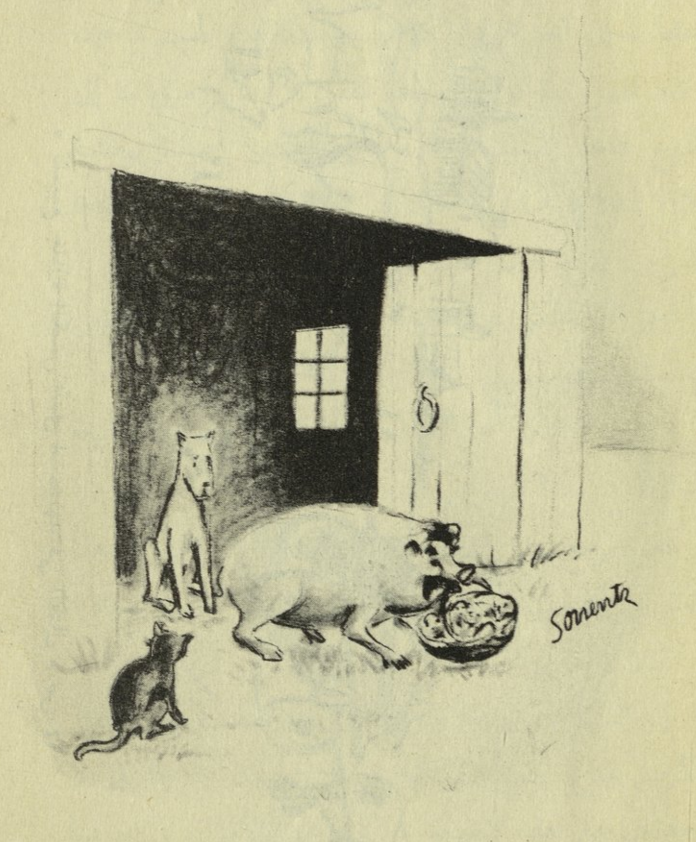
وكذلك حضر الجمع ، ولم يتخلف غير « موسى » الغراب الأسحم الأليف الذى اعتاد أن ينام جاثماً خلف الباب الخلفى .

ولما رأى الحلوف الأكبر أن القوم اطمأنوا فى مجالسهم وأرهفوا الأسماع ، تنحنح وبدأ الكلام .

قال : « أيها الرفاق ، لقد سمعتم من قبل بالحلم الغريب الذى رأيته فى منامى الليلة الماضية ، ولكنى أترك حديثه إلى حين ، وأبدأ الكلام بما يجول الساعة فى صدرى ، وما أحسبنى أيها الرفاق بمقيم معكم أكثر من أشهر معدودات ، وقد رأيت من واجبى قبل الممات ، أن أدلى إليكم بما أوتيت من الحكمة ، وأنفض على أسماعكم دروس التجربة وفصل الخطاب ، فقد عشت طويلا وتراخت بى الأيام ، وكنت كثيراً ما أطلق للفكر العنان ، وأنا راقد فى الفراش ، وأتدبر أمور الدنيا ، وشئون الحياة ، حتى ليصح لمثلى اليوم أن يقول وهو مطمئن إنه العليم بها الخبير بتصاريفها ، فلا يبزه فى علمها حيوان ، ولا تفوقه دابة على الأرض فى فهم ما حوت من غرائب وأسرار .

ودعونى أسائلكم يا رفاق ، ما هى حياتنا الدنيا وما شأنها ...؟

إننا نعيش فى بؤس وكد ونصب ، وحياتنا محدودة الآجال ، ونحن نولد ، ونخرج إلى الدنيا ، فلا نصيب من الطعام غير



« نابوليون يستولى على جراء جيسى وبلوبل » ص ٢٨



« تشييع جنازة الكبش الذى استشهد فى القتال » ص ٦٤

القدر الذى يمسك الرمق ، ويبقى على الأنفاس ، والذين يقدرون منا على العمل يساقون إليه كرهاً ، ويرغمون عليه إرغاماً ، إلى آخر ذرة من قواهم ، ومسكة من بأسهم ، فإذا لم نعد للعمل صالحين ، وانقطع نفعنا لأربابنا ، سيق بنا إلى المذبح فذبحنا بقسوة بالغة ، وجز السكين أعناقنا بوحشية نكراء ، فلا يعرف فى هذه الأرض حيوان معنى السعادة والهناءة والفراغ ، إذا ما حال الحول الأول عليه فى هذه الحياة .

الحق أقول لكم ، إن حياة الحيوان ، فى هذه الدنيا بؤس واستعباد وهوان . . .

ولكنى أسائلكم هل هذا هو نظام الأمر فيها وطبيعة الأشياء . . . . ؟ ؟

وهل مرجع هذا الشقاء الذى نعانيه إلى قلة الخير فى هذا العالم حتى ليضيق عن رغد ننعم به ، وعيش طيب نحياه ؟

كلا ، أيها الرفاق ، وألف مرة كلا . . . . !

إن الدنيا بخير ، والأرض كوثر ، والخصب وفير ، وفى الأرض متاع حسن لأمثالنا معاشر الحيوان ، وما لى لا أحدثكم عن هذه الضيعة ، كمثل من الأمثال ، إن فيها من الخيرات ما يقيم أود اثنى عشر حصاناً ، وعشرين بقرة ،

ومئات من الخراف والأغنام ، ويذلل لهم العيش فى رغد لا وجود اليوم له إلا فى الخيال ، والظفر من الدنيا بمكانة مرموقة لا أثر لها الآن ولا جواز لتحقيقها ولا احتمال .

فلماذا لعمركم الله نرضى بهذا العيش الأليم ، ونسكن إلى هذا البؤس المقيم . . ؟ ؟

إننا راسفون فيه لأن كل ثمرات عملنا أو جلها مغتصبة ونهب مقسم بين معاشر الناس .

إن البشر يسرق نتاج كدنا وتعبنا . .

وهذا أيها الرفاق هو علة شقائنا وسبب تعسنا وضنكنا .

إن الشر كله يا رفاق يتلخص فى كلمة واحدة . . .

وهى . . . الإنسان !

إنه عدونا الأوحد ، وخصمنا الألد . . .

فأزيلوه من أرضكم ، يسلم لكم خيرها ، وينته جوعكم فيها وسعيكم ، وتكونوا من بعده قوماً صالحين . . .

إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يستهلك ولا ينتج ، فهو لا يدر لبناً ، ولا يضع بيضاً ، ولا يجر محراثاً ، ولا يقدر على عدو خلف الأرانب إذا أراد صيداً .

ولكنه مع ذلك كله السيد الحاكم فى معاشر الحيوان .

فهو الذى يدفعها إلى العمل ، ولا يلقى إليها من الطعام إلا ما يمسك الرمق ، ويقيم الأود ، ويأخذ الباقى لنفسه ، ويستأثر بأطايبه ، ونحن الذين نحرث الأرض بعملنا ، ونخصب التربة بروثنا ، ولكن ليس فينا أحد يملك أكثر من أديمه ، والجلد الذى يكسو عظامه .

ألا خبرونى ، يا معشر البقر الذين أرى بين جمعنا هذا وفى مؤتمرنا ، كم عديد الآلاف من الجالونات أدرت أخلافكم وضروعكم لبناً فى العام الماضى ، وأين ذهب ذلك اللبن كله الذى كان أولى به أن يغذى العجول الصغار ويزيدها قوة وبأساً . . .

لقد ذهبت كل قطرة منه فى حلوق أعدائنا .

وأنتم معشر الدجاج !

كم من البيض فى العام الماضى وضعتن . . . ؟ ؟ وكم منه فقس أفراخاً ، ونقف فراريج . . . ؟

لقد ذهب الباقى منه إلى السوق ليعود منه المال الوفير للسيد جونز ورجاله .

وأنت يا صديقتنا « كلوفر » ، أين المهرات الأربع اللاتى وضعتهن ، وكان أولى بها أن تكون لك فى الشيخوخة سنداً ،

ولعينك قرة ، ولك على متاعب الحياة ظهيراً . . . ؟ ؟

لقد بيع كل منها فى السوق حين أتمت الحول الأول فلن تشهديهن آخر الحياة . . .

وما الذى نلته لقاء حملهن كرهاً ، ووضعهن كرهاً ، ومقابل كدك فى الحقل ، وجدك فى الغيط ، إلا النزر من القوت ، والمذود الذى تربطين إليه عند النوم . . . ؟ ؟

يا معشر الحيوان . . .

إن حياتنا الشقية ذاتها قلما تترك حتى تصل إلى مداها الطبيعى ، وتبلغ أجلها المعهود ، وإن كنت من جهتى لا أشكو ، لأننى أحد الذين أسعدهم الحظ فأفلتوا من سكين القصاب ، ولكنى سلخت إلى اليوم إثنى عشر عاماً فى هذه الدنيا ، وأخرجت إليها أربعمائة ولد ، بين إناث وبنين ، وتلك حياة كل خنزير إذا ترك على طبعه ، وخلى بينه وبين سليقته ، ولكن ليس فيكم أحد فى النهاية من الذبح ناجياً .

فيامعشر الحلاليف الصغار الذين تجلسون قبالتى ، لن يحول الحول عليكم حتى تنصبوا على النطع فتذبحوا تذبيحاً ونحن جميعاً إلى هذه الخاتمة منتهون ، أبقاراً وخنازير ودجاجاً وخرافاً وشياهاً ، وكل صادح فينا وباغم ، فلن يتاح حتى

لمعاشر الخيل والكلاب حظ أسعد من حظوظنا ولا نهاية هي خير من نهايتنا .

وأنت يا سيد « بوكسر » ثق أن المستر جونز ، يوم تفقد قواك ، وينقطع دأبك ، سيبيعك ليقطع عنقك ، ويغلى على لحمك ، فيلقى طعاماً لكلاب الصيد والقنص .

وأما الكلاب فقد أعد جونز لها حين تشيخ وتترم أسنانها ، حجراً يربطه بحبل إلى أعناقها ويلقى بها فى الترعة المجاورة .

فهل أدركتم أيها الرفاق من هذا كله أن شقوتنا فى هذه الحياة ومتاعبنا مرجعها إلى طغيان البشر علينا واستبدادهم بنا .

فهلا تخلصتم من الإنسان ، فيكون لكم ثمر كدكم ، خالصاً ، وتصبحوا بين عشية وضحاها فى بسطة من العيش ، كراماً على أنفسكم أحراراً ليس لأحد عليكم سلطان . . .

ولعلكم تسألون ، وماذا نحن صانعون . . . ؟ ؟

فأقول لكم ، هلموا نعمل ليل نهار ، ونتوفر أبدانا وأرواحاً وقلباً وقالباً ، على التخلص من الطغيان .

هذه هى رسالتى أيها الرفاق .

إلى الثورة !

ولست أدرى متى سيحين حينها ، وأيان يأتى يومها ،

فقد تتحقق بعد أسبوع ، أو من يدرى ، بعد مائة عام ، ولكنى واثق كل الثقة أنها لا ريب آتية ، وأن العدل على الدهر قادم .

فضعوا هذا يا رفاق نصب أعينكم ، فى البقية الباقية من أعماركم ، واحملوا رسالتى هذه إلى الذين سيأتون من بعدكم ، حتى تواصل الأجيال الخالفة ما بدأتموه ، ويقع لها الفوزِ المبين .

أيها الرفاق ، اجمعوا أمركم بينكم ، ولا تهنوا فيه ، ولا ترددوا ، ولا تدعوا أحداً يضلكم عنه ، أو يخدعكم فيه ، ولا تستمعوا لمن يقول لكم إن المصلحة مشتركة بين « الإنسان » وبينكم ، وإن رفاهيته هى رفاهيتكم ، والخير العائد عليه عائد عليكم ، فكل ذلك باطل الأباطيل ، إن الإنسان لا يخدم إلا نفسه ، ولا يهمه من الدنيا إلا ذاته ، فلنوحد صفوفنا نحن معاشر الحيوان ، ولنكن رفقاء فى الجهاد متضافرين ، ولتجعلوا شعاركم « إن كل الناس أعداء ، وكل الحيوانات رفاق وزملاء » .

وما كاد الخطيب يبلغ هذا الحد من خطبته ، حتى ارتفعت جلبة شديدة ، وسمعت ضوضاء بالغة ، فقد تسللت عندئذ

أربعة جرذان كبار من شقوقها وجاءت فأقعت على مؤخرها لتصغى إليه ، ولكن الكلاب لم تلبث أن رأتها فجأة ، فهمت بها ، لولا أن بادرت سراعاً إلى الشقوق ناجية بجلودها .

ورفع « الميجور » إحدى قوائمه ، مشيراً بوجوب السكوت والإصغاء إليه .

ومضى يقول أيها الرفاق ، لقد عرضت اللحظة مسألة ينبغى أن نتبين وجه الحق والصواب منها ، وهى مسألة الحيوانات البرية ، كالأرانب والجرذان ، هل هى أصدقاء لنا أم أعداء .

وإنى أقترح أن نأخذ الأصوات .

وليكن موضوع الاقتراع : « هل معاشر الجرذان والفيران رفاق و إخوان . . . ؟ ؟ » .

وأخذت الأصوات فى الحال .

وتبين أن الأغلبية الساحقة تعدهم رفاقاً ، ولم يعترض غير أربعة ، الكلاب الثلاثة والهرة ، وقد ظهر فيما بعد أن الأخيرة أعطت صوتها مرتين ، مع المخالفين مرة ، وأخرى مع المؤيدين... !

واستطرد « الميجور » يقول :

« والآن ليس عندى ما أزيد على ما قلته ، ولكنى أكرر على أسماعكم ما أنا لكم به ناصح . . . لا تنسوا واجبكم .

وتذكروا أن الإنسان هو عدوكم ، وأنكم لكل وسائله وأساليبه في هذه الحياة كارهون ، وليكن شعاركم «إن كل من يدب على أربع ، أو يرف بجناح ، صديق وإن كل من يمشى على اثنتين ، عدو» وأنكم فى قتالكم الإنسان لا ينبغى أن تتشبهوا به ، وإذا تغلبتم عليه قاهرين ، فلا تأخذوا عنه شروره ومساويه ، ولا تحاكوه فى عيوبه ومناقصه وآثامه ، فلا يجوز لحيوان أن يقيم فى مسكن ، ولا أن ينام فى فراش ، ولا أن يرتدى ثياباً ، ولا أن يعاقر شراباً ، أو يدخن تبغاً ، أو يلمس مالا ، ويبغى إثراء ، ويطلب تجراً وكسباً ، فإن كل عادات البشر رذائل ، وكل شهوات الإنسان إثم .

ولا تنسوا فوق ذلك كله أنه لا يجوز لحيوان أن يطغى على أبناء جلدته ، ويستبد بإخوته ، ويعصف بزمرته ، فنحن جميعاً ، أقوياء وضعفاء ، أذكياء وسذجاً ، إخوان وأصحاب ورفقاء.

ولا يجوز لحيوان أن يقتل حيواناً سواه .

إن معاشر الحيوانات فى نظر القانون سواء . . .

والآن إنى محدثكم عن الحلم الذى تراءى لى فى المنام الليلة الماضية ، وإنى فى الحق لعاجز عن وصفه لكم ، فقد كان حلماً بدت فيه دنيانا هذه كما ستكون حين يزول منها

الإنسان ويتوارى عن الوجود ، وقد ذكرنى ذلك الحلم شيئاً كنت قد نسيته من عهد بعيد فقد كانت أمى وأترابها ، حين كنت فى المهد صبيًّا ، ينشدن أنشودة قديمة لا يعرفن منها غير نغمتها والكلمات الثلاث الأولى من مقاطعها ، وقد عرفت تلك النغمة منذ نعومة أظفارى ، ولكنها لم تلبث أن راحت على الأيام نسياً منسيًّا ، واختفت من خاطرى ، وإذا بها فى الليلة الماضية تعاودنى فى الرؤيا ، بل أعجب من ذلك وأغرب ، أن الألفاظ ذاتها عادت مع أنغامها ، ألفاظاً أنا على يقين من أن الحيوانات كانت تغنيها فيما مضى ثم نسيت على مر الأجيال وتلاشت من الذاكرة .

وإنى منشدكم هذا النشيد الآن ، أيها الرفاق ، وإن كان صوتى قد ضعف مع الشيخوخة وبحت نبراته ، ولكنكم ستتعلمون النشيد وتأخذونه عنى ، وتعرفون كيف تجيدون إنشاده ، وتحسنوا التغنى به . . . » .

وتنحنح « الميجور » الشيخ وبدأ يغنى ، وكان صوته أجش وإن أجاد الغناء . . .

وكان النشيد هكذا :

يا معشر الحيوان ، فى كل صقع ومكان

أبشروا على الزمـــان ، بعهد باهر ومصـــير جميل
سيأتى عليـــكم أوان ، يزول فيـــه الطغيـــان
وتخلو الأرض للحيوان ، وتكثر الثمـــار فى البستان

* * *

اللجم ستزول عن الصافنات ، والسرج سترفع من فوق الصهوات
والمهاز لن يشك الخاصرات ، والسياط غداً لن تلهب الأبدان

* * *

الحقول ستغدو ناضرة ممرعة ، والأنهار ستروح صافية مترعة
والأنســـام عليلة رخـــاء ، ونحن غداً الأحرار الطلقاء
لهذا اليوم السعيد فلنناضل ، وليأخذ الأواخر فيه عن الأوائل
ويساهم الأبقار فيه والثيران ، ويكافح الجميع فى الميدان

* * *

يا معشـــر الحيـــوان ، فى كل صـــقع ومكان
أبشـــروا عـــلى الزمان ، بعهد باهر ومصير جميل

ولم يلبث التغنى بهذا النشيد أن أثار أصدق الحماسة ، وما كاد الميجور يأتى على ختامه ، حتى بدأ الجمع ينشده فى أثره ، وأوشك أغبى الأغبياء فيهم أن يلتقط نغمته ، ويستظهر بعض الألفاظ ، وأما الأذكياء منهم كالخنازير

والكلاب ، فلم تكد تمضى لحظات حتى حفظوها عن ظهر قلب ، ووعوا كلماتها وعياً .

وإذا بالنشيد بعد تجارب ابتدائية يرتفع فى الفضاء وتتعالى به العقائر فى انسجام تام .

فقد مضى البقر بخوارهم يغنونه ، وذهب الكلاب بنباحهم ينشدونه ، والغنم برغائهم يتلونه ، والخيل بصهيلهم يرددونه ، والأوز بصياحهم يرتلونه ترتيلا .

ولشد ما كان فرحهم ، حتى لقد رددوه خمس مرات متعاقبة ، وكانوا موشكين أن يواصلوا إنشاده الليل بطوله لو لم يحل دونهم حائل ، فقد استيقظ المستر جونز فجأة على أصواتهم المرتفعة ، وجلبتهم المترددة ، فوثب من فراشه ، وهو يحسب الثعلب قد تسلل إلى الفناء ، وراح يلتقط بندقيته التى اعتاد أن يضعها بجانب سريره ، ويطلق قذائف منها فى الفضاء .

وغابت القذائف فى جدار المخزن ، فتفرق الجمع سراعاً ينسلون . وفر كل حيوان منهم إلى مرقده .

ولم تمض لحظة أخرى حتى لعب الكرى بمعاقد الأجفان وغمر الضيعة سكون . . .

٢

وعاجل الموت الحلوف الأكبر بعد ثلاث ليال ، فقضى نحبه فى فراشه ، ومات وهو نائم ، ودفن جثمانه فى أقصى طرف من البستان .

كان ذلك فى أوائل شهر مارس .

وانقضت الأشهر الثلاثة التالية فى نشاط خفى مستمر ، وحركات سرية بغير انقطاع .

فقد غيرت خطبة الميجور رأى الأذكياء من الحيوانات فى المزرعة ونظرتهم إلى الحياة .

ولم يكن هؤلاء يدرون متى هذا الوعد الذى وعدهم ، وأيان تتحقق « الثورة » التى تنبأ بها ، ولا وجدوا سببا يدعوهم إلى الاعتقاد بأنها ستحدث فى عهدهم ، وتنشب فى زمانهم ، وقبل نفاد آجالهم ، ولكنهم كانوا موقنين بأن من واجبهم الجهاد فى سبيلها ، والمثابرة على التمهيد لها ، وكان أمر التعليم والتنظيم وبث المبادئ والدعوة إلى التعاليم من شأن الخنازير بطبيعة الحال وجماعة الحلاليف ، لما عرف عنهم فى عالم

الحيوانات من الذكاء الوقاد ، والفطنة البالغة .

وكان من أبرز الشخصيات بين معاشر الخنازير خنزيران من الشباب ، يدعى أحدهما « سنوبول » ويطلق على الآخر « نابوليون » .

وكان المستر جونز يربيهما ويتعهدهما على نية بيعهما إذا سمنا واكتنزا .

وكان « نابوليون » ضخماً مهيب السحنة ، مخيف الخلقة ، قليل الكلام، ولكنه المتفرد بالرأى ، النفاذ لما يشاء ، العنيد لا يثنيه عن رغبة شيء .

أما « سنوبول » فكان أكثر من صاحبه نشاطاً ، وأشد مرحاً ، وأجنح إلى الكلام ، وأوفر ابتداعاً ، وإن لم يكن فى رأى الجماعة قوى الشخصية كنابوليون .

وأما الآخرون منهم فى المزرعة فكانوا جميعاً « خنانيص » أى خنازير صغارا وحلاليف عاديين .

ولعل خيرهم كان « سكويلز » وهو خنزير فتى كثير الشحم مستدير الخدين ، براق العينين ، خفيف الحركة ، صافر الصوت ، رفيع الجرس ، البارع إذا تحدث ، المنطيق إذا جادل أو حاور ، الضارب بذيله ، ليغرى السامعين

بحجته ، حتى لقد ألف الآخرون أن يقولوا عنه إن صاحبكم « سكويلر » هذا فى إمكانه أن يقلب الأسود أبيض ، فى مقارعة الحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان . . .

وقد عكف أولئك الخنازير الثلاثة على إفراغ تعاليم الحلوف الأكبر فى نظام كامل ، ومذهب معين ، أطلقوا عليه « الحيوانية » أو « الأنيماليزم » .

وكانوا يعقدون فى الليل عدة اجتماعات سرية كل أسبوع ، عقب ذهاب المستر جونز إلى فراشه ، وكان لقاؤهم عادة فى « الجرن » حيث مضوا يشرحون المبادىء الجديدة للحيوانات الأخرى ويبسطون ما دق عليها من الأفكار والتعاليم .

وقد قوبلت تلك المبادئ فى أول الأمر بنفور واستخفاف وجهالة ، بل لقد مضى فريق منهم يتحدثون عن واجب « الولاء » نحو المستر جونز بوصفه « السيد » والمالك ، أو يقولون عنه إنه هو الذى يطعمنا ويغذينا ، وإننا لو ذهب هالكون جوعاً ، بينما مضى آخرون فيهم يتساءلون قائلين ماذا يهمنا من الدنيا وما فيها بعد أن نذهب منها . . . وإذا كانت « الثورة » لا محالة واقعة ، فعلام نسعى لها سعياً ، ونعد لها عدتها .

وكان الخنازير يجتهدون فى إقناعهم بأن هذا الاتجاه يتنافى مع روح التعاليم وجوهرها .

ولعل أسخف سؤال وجه إلى معاشر الخنازير سؤال « مولى » الفرس البيضاء ، فقد ذهبت تسأل الرفيق « سنوبول » لأول وهلة : وهل سيبقى فى الأرض سكر بعد الثورة . . . ؟ ؟

قال بلهجة التوكيد : كلا ، فلسنا نملك فى المزرعة من الوسائل ما نصنع به السكر ، ولكنك لن تحتاجى إليه أيتها الرفيقة ، إذ ستنعمين من الدخن والذرة والشعير بما تشائين .

قالت : وهل سيؤذن لى بتجميل معرفتى بالأشرطة والفيونكات ؟ ؟

فصاح سنوبول بها قائلا : إن هذه الأشرطة التى تولعين بها أيتها الرفيقة هى شارة العبودية والهوان ، أفلا تدركين أن الحرية خير ألف مرة من أشرطتك هذه وربطاتك ؟؟ .

وهزت موللى رأسها مقرة ، وإن بدت غير مقتنعة .

وقد لقى الخنازير عناء شديداً فى محاربة الأكاذيب التى كان يبثها موسى الغراب الأسحم ، فقد كان أحب الطير فى المزرعة إلى نفس صاحبها ، وكان عيناً على الآخرين وجاسوساً وراوية ، وهو أيضاً المتحدث البارع المتفنن حتى

ليزعم أنه العليم بوجود عالم مجهول يدعى « جبل القصب » أو « الجنة الفيحاء » يذهب إليه معاشر الحيوانات إذا انتهى فى هذه الدنيا أجلها .

وكان يقول فى وصفها إنها فى موضع ما من السماء ، فوق السحب ، وإن الحياة فيها رغد مقيم ، والحشيش فيها على العام كله غير منقطع ، وإن أسوارها النضر تنبت القصب ، وتخرج السكر ، وتطلع الكسب مختلفاً ألوانه لذة للآكلين .

وكانت الحيوانات تكره موسى لأنه يكثر من الكلام ولا يؤدى عملا ، وإن كان فريق منهم قد آمنو بوجود « جبل القصب » رغم اجتهاد الخنازير فى إقناعهم بأن لا وجود له .

وكان الحصان « بوكسر » والفرس « كلوفر » أخلص أتباعهم ، وخير تلاميذهم ، فقد كانا لا يقويان على تفكير مستقل ، ولا يستطيعان تأملا ولا بحثاً ، فلا عجب إذا هما ، بعد التسليم للخنازير بالأستاذية ، قد راحا يصدقان كل ما يقال لهما ، وينقلان ما يسمعانه إلى الحيوانات الآخرين كقضية مسلم بها لا تحتاج إلى دليل .

وكانا يحضران الاجتماعات السرية مثابرين لايتخلفان ليلة عنها ، ويستبقان الجمع إلى إنشاد النشيد القومى ، قبل انفضاضها .

ولم تلبث «الثورة» أن وقعت أبكر وأيسر مما كان فى الحسبان .

فقد كان المستر جونز فيما مضى من السنين مزارعا أخا كفاية ، ورب مقدرة ، ولكن الأيام تنكرت أخيراً له ، وعبس وجه الزمان ، فغلبه القنوط على أمره ، لنفاد ماله فى إحدى القضايا ، والحاجة إلى الشراب ، حتى ليظل أياماً عدة مستلقياً فى مقعده الرحيب فى المطبخ يقرأ الصحف ، ويعاقر الخمر ، ويلقى من وقت إلى آخر بفتات من الخبز المشرب فى الجعة لغرابه العزيز موسى .

وأغرى مسلكه هذا عماله بالبلادة والخيانة والإهمال ، ففسد الزرع ، وتداعت السقوف ، وتهدم العوسج ، وشح على المواشى والحيوانات الغذاء .

وأقبل شهر يونية . June

وكاد التبن يتهيأ للقطع والتخزين .

ولم يأت اليوم الثانى والعشرون منه ، وكان يوم أحد ، حتى ذهب المستر جونز إلى قرية « ويلنجدون » المجاورة وظل يعاقر الخمر فى حانة « الليث الأحمر » حتى ذهبت الصهباء بلبه ، فلم يعد إلى المزرعة إلا فى غداة اليوم التالى ، وكان العمال قد حلبوا البقر فى بكرة النهار ثم خرجوا لصيد الأرانب

غير حافلين بإطعام الحيوانات ولا علف البهائم .

أما المستر جونز فلم يكد يصل إلى المزرعة حتى أوى إلى حجرة الجلوس ، فنام على المتكأ ، وتولاه النعاس ، ولا تزال جريدة « الأخبار » لصق وجهه .

وحان المساء ولا تزال الحيوانات ساغبة لا تجد طعاماً .

وطال بها انتظاره ، حتى نفد أخيراً صبرها ، فذهبت بقرة فكسرت باب السقيفة بقرنيها ، وأقبل الآخرون سراعا فى أثرها وهم يهوون على « المزاود » يأكلون ما شاءوا .

واستيقظ المستر جونز على تلك الحركة ، فبادر هو ورجاله الأربعة إلى السقيفة والسياط فى أكفهم ، يضربون بها فى كل ناحية .

فلم تطق الحيوانات هذا الأذى ، ووثبوا بجمعهم مرة واحدة على معذبيهم ، وإن لم تكن وثبتهم عن اتفاق ، ولا تدبير معين .

وإذا بالمستر جونز وصبيانه لا يدرون كيف يتقون النطح الموجه إليهم من كل مكان ، والركل المهوى عليهم من كل ناحية .

ووجدوا الموقف حرجاً ، وهم ذاهلون ، يعجبون لهذا المسلك الذى لم يشهدوا من قبل مثله ، ولا يدرون ما الذى

أثار الحيوانات عليهم هذه الثورة البالغة، وقد ألفوا أن يضربوها ويؤذوها كما يشاءون ، فلا تلبث أن تخافهم ، وتذعن لهم صاغرة .

ولم تمض لحظات حتى كفوا عن المقاومة ولاذوا بأذيال الفرار مروعين .

وتعقبتهم الحيوانات فرحة منتصرة إلى الطريق العام .

ورأت امرأة جونز هذا المشهد من نافذتها فأسرعت إلى حقيبة لها فحملت فى جوفها ما خف وزنه وغلا ثمنه ، وخرجت من القرية متسللة .

ورآها موسى تعدو فطار من مجثمه ، وهو يرسل فى جو السماء نعيقاً مستطيلا .

أما الحيوانات فقد ظلت تطارد المستر جونز وعماله حتى أخرجتهم من حدود المزرعة وردت الأبواب من خلفهم لكيلا يكون إياب .

وهكذا قامت «الثورة» المنشودة وانتهت بنجاح وهم لايشعرون.

وطرد « جونز » وأصبحت المزرعة لمعاشر الحيوان . . .

ووقف الجمع بضع دقائق مذهولين لا يكادون يصدقون أن التوفيق كان لهم حليفاً .

وكان أول خاطر وثب إلى غرائزهم أن راحوا فى حشد حاشد يدورون حول حدود المزرعة ، كأنما ليستوثقوا من أن إنساناً غير مختبىء فى ركن منها ، وما لبثوا أن عادوا سراعاً إلى المبانى والمساكن فيها ليزيلوا آخر بقايا العهد البغيض . . . !

واقتحموا مخزن اللجم والسروج القائم فى أقصى طرف من « الدوار » ، وراحوا يلقون فى غيابة الجب كل ما حوته من لجم وأسرجة وسلاسل وسكاكين اعتاد المستر جونز أن يخصى بها الخنازير والخراف الصغار والحملان .

أما الأعنة و « الرشمات » والغمامات والمخلات المهينة التى تعلق فى الرقاب فقد ألقوا بها فى النار المشبوبة فى فناء الدار لإحراق المهملات .

وكذلك فعلوا « بالكرابيج » والسياط .

ولشد ما تهللوا فرحاً حين رأوها تتواثب فى اللهب وتأتى عليها النيران .

وعمد « سنوبول » إلى الأشرطة « والفيونكات » التى كانت تزين بها معارف الأفراس وأذيالها حين الخرجة إلى السوق فدسها فى النار وهو يقول إن هذه الأشرطة ينبغى أن تعد من ضمن الثياب ، والثياب من شعائر البشر ، ولا يجوز للحيوانات ارتداءها بحال .

وسمع الحصان « بوكسر » مقالة « سنوبول » فبادر إلى القبعة القش التى كان يغطى بها رأسه فى الصيف ليذود عن أذنيه الذباب ، فألقى بها فى النار .

وهكذا فى لحظة قصيرة أتلف الحيوانات كل ما يذكرهم بالمستر جونز والعهد البائد .

واقتادهم « نابوليون » بعدئذ إلى السقيفة ووزع عليهم «جراية» مضاعفة من الفول ، وأعطى الكلاب قطعتين من البقسماط .

وانطلقوا ينشدون « النشيد القومى » سبع مرات ثم آووا إلى المراقد حين جن الليل واستمتعوا بنوم هنىء لم يستمتعوا بمثله فى يوم من الأيام .

ولكنهم صحوا مع مطالع الفجر كإيلافهم ، وعندئذ تذكروا فجأة الحدث العظيم الذى جرى بالأمس ، فانطلقوا جميعاً إلى المراعى متسابقين .

وكان فى المزرعة ربوة تشرف على الضيعة من جميع أرجائها ، فصعدوها خفافاً وراحوا يديرون أعينهم فيما حولهم على ضياء الصباح المشرق الجميل .

إى والله . . . !

إن هذه الأرض لهم ، وكل شىء حولهم ملك يمينهم . . . !

، وفى فرحة هذه الفكرة ، ولذة هذا الخاطر ، مضوا يطفرون ويقفزون حلقات ، ويتواثبون فى الهواء ذاهلين من فرط المرح والسرور .

وانكفأوا من بعد الوثب والطفر يتدحرجون فوق الندى ويقضمون ملء أشداقهم عشباً وحشائش ناضرة ويثيرون بأرجلهم قطعاً من الطين ويستافون بأنوفهم ريحها العطرة ، وشذاها المسكر العجيب .

وانثنوا يطوفون بالمزرعة ويتفقدون فى إعجاب مفرط يعقد الألسنة ، الحقل المحروث ، والتبن المكدس والبستان والبركة والمغزل ، وقد بدت لهم كأنها جديدة عليهم لم يبصروا من قبل شيئاً منها ، ولا يكادون يصدقون أنها أصبحت لهم غير منازعين .

وعادوا من طوافهم إلى مبانى المزرعة فوقفوا فى صمت خارج البيت .

لقد أصبح البيت أيضاً ملكاً لهم .

ولكنهم وقفوا خائفين يتهيبون الدخول .

وإذا بنابليون وصاحبه سنوبل بعد لحظة يدفعان الباب بكتفيهما ، فينفتح أمام الجمع الحاشد .

وأقبلوا يدخلون منه صفاً مستطيلا وهم فى حذر شديد خشية أن يتلفوا شيئاً ، أو يصطدموا به ، وراحوا يمشون على أطراف أقدامهم من حجرة إلى أخرى ، مشفقين من الكلام إلا همساً ، ورانين بأبصارهم فى رهبة إلى هذا الترف البادى من حولهم ، بين سرر منصوبة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة، وفراش وثير .

وإنهم لينزلون مدارج السلم إذ افتقدوا الفرس البيضاء «موللى» فلم يجدوها .

فعادوا للبحث عنها ، وتذكر بعضهم أنهم تركوها آخر المطاف فى المخدع ، فالتمسوها فيه ، فإذا هى قد تناولت منه شريطاً أزرق وأمسكت به حيال كتفها ، ووقفت تتراءى فى المرآة مختالة مزدهية ، فعنفوها على فعلتها ، ونزلوا السلم منصرفين .

وعرجوا على المطبخ فرأوا فيه أفخاذا مملحة من الخنازير ، فحملوها لدفنها ومواراتها تحت الثرى ، وأبصروا « دن » البيرة فى ركن منه ، فرفسه « بوكسر » بأحد حوافره فانسال ما فيه .

ولم يلمسوا فى البيت شيئاً .

وقرروا بالإجماع أن يحتفظوا بالبيت متحفاً . . . !

واتفقت كلمتهم على أن لا يقيم فيه أحد منهم .

ولما تناولوا طعام الصباح دعاهم نابوليون وسنوبول إلى الاجتماع وخطبهم سنوبول أولا فقال : « أيها الرفاق ! الساعة قد آذنت منتصف السابعة ، وأمامنا نهار شاق ، ونصب طويل ، فنحن اليوم سنبدأ حصاد الهشيم ، ولكن هناك أمراً آخر لا يصح لنا أن نغفله . . . »

وعندئذ انبرى معاشر الخنازير يقصون على القوم كيف تيسر لهم الإلمام بالقراءة والكتابة من كتاب هجاء قديم كان يتعلم منه أولاد المستر جونز وصبيته، ثم ألقوه بعد حين فى كومة « الزبالة »

وبعث نابوليون يطلب مداداً وطلاء أبيض وقاد الجمع إلى « البوابة » العامة التى تنتهى عندها حدود المزرعة ، وعندئذ تناول سنوبول ، وكان أعرفهم بالخطوط ، فرشاة فأثبتها بين ساقيه ، وراح يمحو اسم المزرعة المكتوب على لوح قائم عند البوابة وهو « مزرعة الذوات » ويكتب مكانه اسما جديداً لها وهو « مزرعة الحيوانات » !

وعادوا بعد هذا إلى مبانى الضيعة فأقام نابوليون وصاحبه

سنوبول سلماً خشبيـاً مسنداً إلى الجدار ، وهما يقولان للجمع الحاف من حولهما إن الخنازير قد درسوا فى الأشهر الثلاثة الماضية مبادئ المذهب الجديد ، وهو « الحيوانية » واستطاعوا تلخيصها فى « سبع وصايا » ، وأنهم سينقشون هذه الوصايا السبع على الجدار لتكون « قانوناً » محترماً فى المزرعة لا يخالفه أحد من معاشر الحيوانات .

وتسلق « سنوبول » السلم بشىء من المشقة ، لأن الخنازير لا تستطيع بسهولة التوازن عليه ، وبدأ يكتب تلك الوصايا ، فى حين وقف « سكويلر » على إحدى درجاته الدنيا ممسكا بوعاء الطلاء ليمده إلى صاحبه كلما أراد غمس الفرشاة فيه .

ولما فرغ من هذا العمل بدت الوصايا مكتوبة بخطوط عريضة تشاهد من مكان بعيد .

وكانت الوصايا السبع هى :

١ — كل من يمشى على اثنتين عدو .

٢ — كل من يمشى على أربع أو يرف بجناحين صديق .

٣ — لا يجوز لحيوان أن يرتدى ثياباً .

٤ — ولا أن ينام فى فراش .

٥ — ولا أن يقتل حيواناً آخر .

٦ ـ ولا أن يعاقر الخمر .

٧ ـ الحيوانات جميعاً متساوون .

وكان الكلام جلياً ، وإن خالطته أغلاط فى الهجاء .

ووقف سنوبول يتلوها على أسماع الآخرين .

وجعل هؤلاء يهزّون رءوسهم مؤمنين على كل وصية منها ولم يلبث الأذكياء فيهم أن استظهروها .

وألقى « سنوبول » الفرشاة من يده وأنشأ يقول : « والآن أيها الرفاق ، هلموا بنا إلى حصاد الهشيم ، لنجمع قشاً وتبناً ، وليكن فخارنا أن نتم جمعه فى وقت أقصر مما كان يستغرقه جونز وصبيانه فى حصاده » .

ولكن البقرات الثلاث أرسلن فى تلك اللحظة خواراً شديداً ، وقد بدت عليهن سمات القلق والألم الممض ، فقد انقضت عليهن أربع وعشرون ساعة واللبن محتبس فى ضروعهن حتى كادت منافحهن تنفجر انفجاراً .

ووقف الخنازير يفكرون ملياً .

وما لبثوا أن أرسلوا فى طلب جرار وأقبلوا على البقرات يحتلبون أخلافها مستعينين بأيديهم وأرجلهم فى يسر .

وملأ اللبن خمس جرات كبار ، وقد فاضت به وهو يرغى

ويزبد من وفرته وطول محتبسه .

ولبث القوم ينظرون إلى اللبن الحليب فى شغف .

قال قائل منهم : ماذا نحن صانعون بهذا اللبن كله ؟؟

قالت دجاجة : لقد كان السيد جونز أحياناً يخلط « الردة » التى يقدمها إلينا بقليل منه . .

وصاح نابوليون وهو يتقدم إلى الجرار قائلا : دعوا اللبن وأمره إلى حين ، فسنعنى به ، وتعالوا إلى الحصاد فهو أهم منه شأناً ، وسيتقدم الرفيق سنوبول الجمع إليه وسأوافيكم بعد قليل ، إلى الأمام يا رفاق . . . إن الحصاد ينتظركم . »

وهكذا انطلق الجمع إلى الحقل ليجمعوا القش .

ولكنهم حين عادوا مع المغيب لم يروا لجرار اللبن أثراً ...!

— ٣ —

ولشدّ ما كدحوا وتصببت أجسامهم عرقاً فى نقل « التبن » إلى المخزن .

ولكن جاء الجزاء موفوراً ، لأن الحصاد كان أكبر وأكثر مما كانوا يرجونه .

وكان العمل أحياناً شاقـًّا ، لأن الأدوات صنعت ليستخدمها الإنسان ، ولم تكن ميسرة للحيوان .

وتبين أيضاً أنهم لا يستطيعون استخدام الآلات التى تستوجب الوقوف على الساقين الخلفيتين .

ولكن معاشر الخنازير كانوا من الحذق بحيث لم يكن ليعزّ عليهم علاج كل صعب ، وتيسير كل مشقة .

أما الخيل فكانت عليمة بكل شبر فى الحقول ، بل كانت أعرف من جونز ذاته وصبيانه بالحش والدرس .

ولم يكن الخنازير يؤدون فى الواقع عملا ، لأنهم تولوا التوجيه والإشراف ، وكان طبيعيـًّا لما أصابوا من العلم ، وتواتى لهم من الفهم ، والمعرفة ، أن تكون الزعامة لهم .

ولم يكن من الحصان «بوكسر» والفرس «كلوفر» إلا أن يتناولا المحش والمجراف ، ويروحا يذرعان الحقل بغير لجم ولا أعنة ، فقد انقضت أيامها بلا ريب وذهب الزمان بها ، وحسب الخنازير أن يندبوا واحداً منهم يمشى فى إثرهما موجهاً مشرفاً ، يصيح بهما مرة قائلا : «إلى اليمين أيها الرفيقان» ! وأخرى منبهاً : «إلى اليسار أيها الرفيقان» ! كلما أراد ملاحظة ، أو عنّت له فكرة فى حش المحصول .

وكان كل حيوان فى المزرعة من أكبر كبير إلى أصغر صغير يشتغل فى جمع الحصاد ونقله إلى الأهراء ، حتى الأوز والدجاج مضى يكدّ ذهاباً وجيئة فى كل يوم تحت وقدة الشمس حاملا حزمات صغيرة من القش بمناقيره .

وهكذا استطاعوا الفراغ من الحصاد فى فترة أقصر يومين مما كان جونز وعماله يستغرقون فيه .

وكان أوفر حصاد تواتى للمزرعة منذ نشأتها ، فلم يذهب منه شىء هباء ، إذ جعلت الدجاجات والإوزات بأعينهن الحداد تجمع كل عود ، ولا تترك منه فى الأرض شيئاً ، بل لم يخطر ببال أحد من الحيوانات أن يسرق ولا قدر حفنة أو ملء شدقين منه .

وظل العمل فى المزرعة طيلة الصيف مطرداً منظماً دقيقاً كالساعة ، وسعد الحيوانات بالحياة كل السعادة ، وأحسوا رغداً لم يحسوا مثله فى يوم من الأيام ، فكانت كل لقمة هنيئة ، وكل طعام سائغاً ، لأنه طعامهم وحدهم ، وثمرة كدّهم دون شريك أو مغتصب مستبد ، وهم الذين أنتجوه بأنفسهم لأنفسهم ، فلم يلق إليهم من كف سيد متفضل ، ولا جاء فتاتاً من موائد طاغية محتكر .

لقد أصبح الطعام وفراً ، وبات الخير كوثراً ، لأن الذين كانوا يعيشون « عالة » أو « أوكالا » عليهم قد ذهبوا ، وانقضى عهدهم البغيض .

ولكنهم واجهوا عدة صعاب ، كدرس الغلة بعد الحصاد فقد راحوا يدرسونها على الأسلوب القديم ، وهو ذرها فى الهواء بأنفاسهم لنفى القشور منها وتنقيتها من القش ، إذ لم يكن فى المزرعة مجارف ولا أدوات حديثة لدرس الغلال .

ولكن الخنازير بذكائها وبراعتها ، والحصان « بوكسر » بعضلاته القوية المفتولة ، لم يلبثوا أن تغلبوا على تلك المشاق .

وكان « بوكسر » موضع الإعجاب العام .

لقد كان حيواناً دءوباً حتى فى عهد السيد جونز وإن بدا

اليوم أقوى مما كان ، حتى لتعدل قوته بأس ثلاثة أحصنة مجتمعة .

وقد مرت أيام كان العمل كله فى المزرعة معتمداً على بأسه الشديد وعضله المفتول ، وكتفيه القويتين حتى ليقضى النهار كله من مطلعه إلى الغروب يعمل فى الحقل ، ويكدح فى الغيط ، وحيثما يتطلب الأمر أكبر الجهد ، تراه المتوفر عليه ، المتفرغ له .

وكان قد اتفق مع ديك صياح فى القرية على أن يتولى إيقاظه قبل أى أحد سواه إذا تنفس الصبح ، فيذهب من يقظته متطوعاً لنجاز أى عمل عاجل لا مفر من إتمامه قبل أن تبدأ ساعات العمل المقررة للجميع .

وكان جوابه عن كل مشكلة ، ورده على كل ملاحظة : « إننى سأضاعف جهدى » ، حتى أصبحت هذه الكلمات له شعاراً .

وكان كل حيوان فى المزرعة يعمل قدر طاقته ، فإن الدجاج والأوز مثلا استطاعوا توفير خمسة أرادب من الغلال عند الحصاد بجمع الحبوب المتناثرة ، والتقاط الأكوام الدقيقة المبعثرة .

ولم يكن أحد ليسرق شيئاً ، ولا شكا فرد منهم نقصاً فى جرايته .

وكادت تتلاشى أعراض النزاع والشجار والحقد والتحاسد التى كانت غالبة على الحياة فى الأيام الخالية .

ولم يتهرب أحد من العمل ، وإن كانت « موللى » الفرس المزهوة بنفسها تتأخر فى النوم ، فإذا أقبلت على العمل تركته قبل الموعد ، مدعية أن حجراً أصاب حافرها .

وكان سلوك الهرة أيضاً غريباً .

فقد تبين أنها تختفى كلما عرض عمل ، أو التمست له ، حتى لتظل الساعات الطوال متوارية ، ثم تظهر قبل وجبة الطعام ، أو على مطالع المساء ، بعد الفراغ من كدح النهار ، كأنما لم يحدث شىء ، ولم تكن عنه غائبة .

ولكنها كانت تجيد اختراع الأعذار ، وتروح تموء بلطف ورفق وتودد ، حتى ليصعب على الآخرين الاعتقاد بأن تصرفها كان بسوء نية ، أو عن مكر وخبّ .

أما الحمار « بنيامين » فكان يبدو كما هو لم يتغير ولم يعرُه تبديل منذ وقوع « الثورة » ، فكان يؤدى عمله بذلك البطء المعهود منه فى العهد القديم ، بغير تهرب ولا تحايل على الفرار من الشغل ، ولكن دون تطوع من نفسه لمزيد منه ، أو عمل إضافى .

ولم يكن يبدى فى الثورة وتمراتها رأياً ، ولا يصارح أحداً بما فى نفسه منها ، فإذا سئل هل هو أسعد حالا مما كان على العهد البائد ، لم يزد على قوله : إن الحمير يعيشون طويلا ، ويتراخى بهم الأجل ، وما أحسب أحداً منكم شهد يوما حماراً حضره الموت . . . !

فكان القوم يقنعون منه بهذا الجواب المقتضب .

وكان يوم الأحد موعد الراحة العامة ، وفيه يتأخر الفطور ساعة عن ميقاته فى الأيام الأخرى فإذا انتهوا منه اجتمعوا لحفل معين ، لا ينقطع ولا يبطل لسبب ما .

وكان أول شىء يقام فيه هو نصب العلم ، فقد وجد « سنوبول » فى مخزن السروج قماشاً أخضر لعله كان غطاء مائدة استغنت عنه امرأة جونز ، فأتى بطلاء أبيض ورسم عليه حافراً وقرناً .

وكان هذا العلم ينصب على سارية فى حديقة الدار صباح الأحد .

وكان سنوبول فى شرح سر هذا العلم يقول : لقد جعلناه أخضر كما ترون ليمثل الحقول الناضرة والمروج الخضر ، وأما الحافر والقرن فيمثلان « الجمهورية » المنتظرة فى عالم الحيوان ،

إذا ما تم لنا القضاء على أعدائنا ، وإدالة دولة خصومنا من الأرض جميعاً .

فإذا رفع العلم فوق السارية جاء الحيوانات صفـًّا صفـًّا فعقدوا فى « الجرن » اجتماعاً عامـًّا كانوا يطلقون عليه كلمة « الجلسة » أو « المؤتمر » ، وفيه كانت توضع برامج الأعمال فى الأسبوع القادم وتدور المناقشات فى المسائل العامة ، وتتخذ القرارات بشأنها .

وكانت الخنازير هى التى تتقدم إلى المؤتمر بمشروعات القرارات ، أما الحيوانات الأخرى فكانت تعرف كيف « تقترع » عليها ، ولكنها لم تكن تفكر يوماً فى اقتراح مشروع قرار تطلب إلى المجلس إقراره .

وكان « سنوبول » و « نابوليون » أنشط القوم وأبرعهم فى إدارة المناقشات .

ولكن تبين أنهما على خلاف مستمر ، وظهر أنهما لم يكونا يوماً على وفاق ، فكلما تقدم أحدهما باقتراح ، اعتقد القوم على الأثر أن الآخر سيعارضه .

وقد عرض يوماً على المجلس اقتراح لم يكن أحد يظن أنه سيجد اعتراضاً عليه من أية ناحية ، وهو إنشاء ملجأ فى

طرف الحديقة كدار يقيم فيها الحيوانات التى جاوزت سن العمل ، وحان لها التقاعد ، ولكن لم تلبث المناقشة أن استحمت وارتفع مد الجدل حول تحديد سن التقاعد لكل طبقة من الحيوانات ، ولم ينته المجلس إلى رأى حاسم .

وكان المجلس ينتهى بالنشيد القومى :

« يا معشـــر الحيوان   فى كل صقع ومكان .. » !

ويخصص الأصيل فى ذلك اليوم للرياضة والفسحة واللهو.

وما لبث الخنازير أن جعلوا مخزن السروج مركز رياسة لهم ، فكانوا يقبلون بعد الغروب على دراسة أعمال الحدادة والنجارة والمهن الأخرى ، مستعينين بالكتب التى وجدوها فى دار المزرعـــة .

وتوفر سنوبول على تنظيم اللجان وتشكيل الهيئات ، فألف مثلا لجنة للدجاج دعاها « لجنة إنتاج البيض » ، وشكل أخرى للبقر سماها « اتحاد الأذيال النظيفة » وثالثة أطلق عليها « لجنة الثقافة والتهذيب للرفاق البريين » لتتولى تدجين الجرذان والأرانب ، ورابعة للأغنام عرفت بلجنة « الصوف والوبر الأبيض » ، وغيرها من اللجان المتعددة الأشكال والأهداف .

وأنشأ أيضاً فصولا وفرقاً لتعليم القراءة والكتابة ومحو الأمية .

ولكن هذه المشروعات باءت فى جملتها بالفشل ، وحبط عملها .

فلم تلبث لجنة « التدجين » مثلا أن عاجلها الانحلال ، لإخفاقها فى تحقيق المراد منها ، فقد ظل الأرانب والجرذان على إيلافها ، وكلما أحسنوا معاملتها، ازدادت نفوراً وأساءت استغلال الكرم الذى عوملت به .

وكانت الهرة قد انضمت إلى لجنة « التدجين » ولبثت أياماً فى نشاط ظاهر ، وعمل مستمر .

وقد شوهدت يوما جالسة فوق السطح تتحدث إلى بعض « الخطاطيف » وهن بعيدات من منالها .

وكانت تقول لهن إن جميع الحيوانات أصبحوا اليوم رفاقاً وإن كل خطاف منها حرّ فى المجىء إليها والجلوس على كفها إذا شاء ، فلا خوف عليه ولا عدوان .

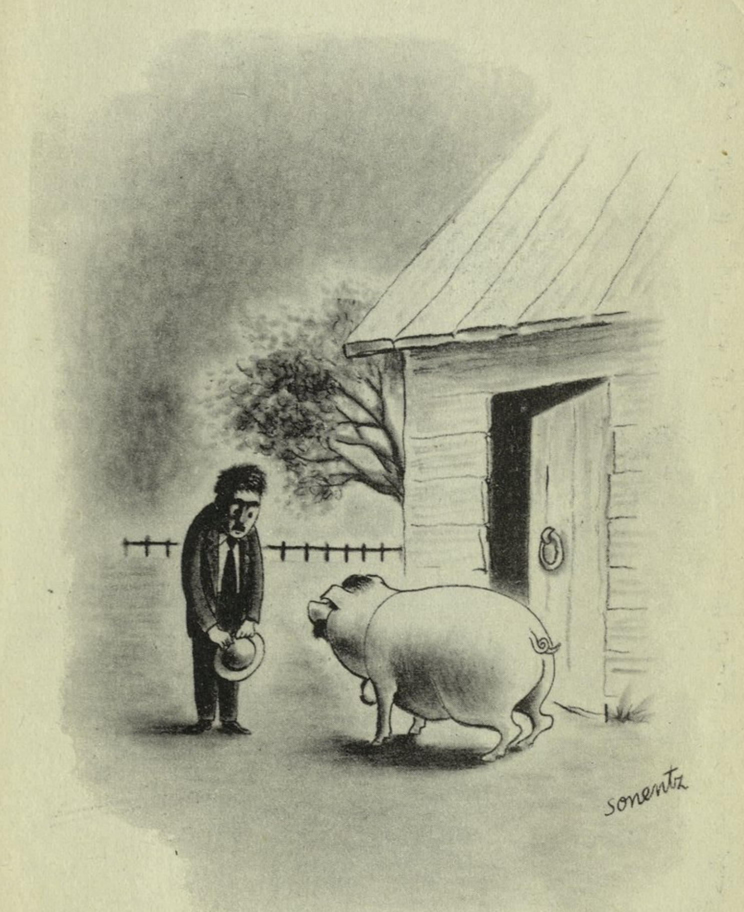
ولكن الطير ظلت بمنأى لا تبغى اقتراباً . . .

أما فصول التعليم والفرق التى أنشئت لمحو الأمية فقد لقيت نجاحاً باهراً ، فلم يأت الخريف حتى كان كل حيوان فى المزرعة متعماً إلى حدما .

ولم يلبث معاشر الخنازير أن أتقنوا القراءة والكتابة كل الإتقان.



« وكان الحمار بنيامين هو الحيوان الاوحد الذى لم ينحز الى هذا الحزب أو ذاك » ص٧٤



« نابوليون وهو يدب على أربع يلقى آوامره على
ويمبر القائم على ساقين » ص ٩٥

وعرفت الكلاب كيف تقرأ ، ولكنها لم تكن تعنى بقراءة شيء غير الوصايا السبع .

ولكن « موريل » الجدى كان أحسن قراءة من الكلاب ، حتى لقد اعتاد أحياناً أن يقرأ على الآخرين فى المساء من قصاصات من الصحف القديمة وجدها فى كومة الأقذار .

وكان بنيامين الحمار لا يقل علماً بالقراءة عن أى خنزير فى القرية ، ولكنه لم يحفل بالتمرين ، ولا عنى بالمتابعة والاستزادة .

وإذا سئل فى ذلك قال إنه لا يجد شيئاً جديراً بأن يقرأ .

وأدركت الفرس « كلوفر » علم الأبجدية كلها ، ولكنها ظلت العاجزة عن ربط الأحرف وبناء الكلمات .

أما الحصان « بوكسر » فلم يستطع أن يتجاوز « الدال » وكان دأبه أن يرسم بحافره على الثرى الألف والباء والجيم والدال ثم يقف يتأملها وهو ناشر أذنيه فى الفضاء أو باسط معرفته ، محاولا جهده أن يتذكر الحرف الذى يلى الدال ، فلا يستطيع له تذكراً .

وقد حفظ فعلا فى عدة مرات الهاء والواو والزاى ولكنه ما كاد يعرفها حتى نسى الأحرف الأولى ذاتها من الألف إلى الدال .

وبعد لأى قنع باستظهار هذه الأحرف الأربعة الأولى وجعل

يكتبها على الثرى بحافره مرة أو مرتين فى اليوم للمذاكرة والاستيعاب .

وأبت الفرس المدللة « موللى » أن تحفظ أكثر من الأحرف القليلة التى يتألف منها اسمها ، فكانت ترسمها على شكل عيدان أو قطع من العوسج ، ثم تجملها بزهرة أو زهرتين وتروح تلف حولها فى زهو بها وإعجاب .

وأما الحيوانات الأخرى فى المزرعة فلم يستطيعوا التقدم إلى ما بعد الألف .

وتبين أيضاً أن الأغبياء منهم كالأنعام والدجاج والأوز قد عجزوا عن حفظ شىء غير الوصايا السبع .

وأقبل « سنوبول » بعد تفكير طويل يقول لمعاشر الحيوانات عامة ، والأغبياء منهم خاصة ، إن هذه الوصايا يصح فى الواقع اختصارها فى بضع كلمات وهى « ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أشرار . . . »

ومضى يقول لهم ، هذه هى فى الحق خلاصة المبادئ التى ينطوى عليها مذهبنا الجديد ، فمن أدركها فقد أمن شر المعتدين .

ولكن الطير احتجت فى بداية الأمر على هذا التلخيص ، فقد رأت أنها هى أيضاً من ذوات الاثنتين ، وعندئذ راح

سنوبول يثبت لها أن الأمر ليس كما توهمن ، قائلا إن جناح الطائر أيها الرفاق هو عضو الدفع ، لا عضو التناول والإمساك والتداول ، فيجب أن نعده إذن بمثابة « الساق » ولا يخفى عليكن أن العلامة التى يمتاز بها الإنسان هى « اليد » التى يستخدمها كسلاح للأذى وأداة للعدوان .

ولكن الأطيار لم تفهم كلماته ، وإن قبلت تفسيره .

وطفقت الحيوانات الدنيا تجتهد فى حفظ الملخص الذى تطوع سنوبول به لمبادئ النظام الجديد « ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أشرار » .

ورحن يكتبنها بحروف غلاظ على الجدار القائم فى أقصى « الدوار » فوق الوصايا السبع .

وما كاد الغنم يستظهرونها حتى فتنوا بها ، وراحوا وهم فى الحقل يكثرون من الرغاء بها فى نغم منظم ، ولحن رتيب ، حتى ليظلوا هكذا يرغون بإنشادها عدة ساعات بلا كلال ولا تعب .

ولم يكن « نابوليون » يعنى كثيراً بلجان « سنوبول » وتشكيلاته ، وسلسلة دراساته وحلقاته ، وكان يقول إن تعليم النشء أهم من محاولة تثقيف الكبار .

وحدث أن ولدت الكلبتان « جيسى » و « بلوبل » بعد

الحصاد تسعة جراء ، ولم يكد يتم فصالها حتى أخذها نابوليون من والدتها وقال إنه سيتولى تربيتها .

وحملها إلى غرفة صغيرة فى سطح الدار لا يصل أحد إليها إلا من سلم خشبى يقام على جدار مخزن السروج وظل حريصاً عليها فى ذلك الموضع المنعزل حتى لم يلبث القوم أن نسوها كل النسيان .

وإذا بسر اللبن الذى كان يحتلب من ضروع البقر وأخلافها يختفى ، ثم ينكشف إذ تبين أن الخنازير جعلت تمزج به الثريد لغذائها .

وكان التفاح قد أوشك أن يطيب على شجره .

ولم تلبث الأرض من تحته أن تغطت بما يسّاقط منه ناضجاً طال النضج عليه وهو فى الأفنان .

واعتقد الحيوانات أن التفاح السقيط ، أو طرح الريح ، سيوزع بينهم بالسواء .

ولكن صدر الأمر فى ذات يوم بأن يجمع هذا التفاح الذى لم يحتج إلى القطاف ويحمل إلى مخزن السروج لينعم به الخنازير وحدهم .

وعلم القوم بذلك فبدأ فريق منهم يتبرم ويسخط ، ولكن

لم يجد السخط نفعاً ، فقد اتفق الخنازير جميعاً على أن هذا التصرف سليم ، حتى سنوبول ونابوليون اتفقا فى هذا الأمر وهما أبداً المختلفان .

وأوفد الحلوف «سكويلر» ليشرح الأمر للقوم ويفسر ، قال : أيها الرفاق أرجو أن لا تحسبوا أننا معاشر الخنازير فعلنا ذلك أثرةً منا وامتيازاً واختصاصاً ، فإن فريقاً كبيراً منا لا يحب اللبن ، وآخرين لا يستطيبون التفاح ، وأنا فى الواقع أحدهم ، وإنما كل غرضنا من أخذهما هو المحافظة على صحتنا ، فقد أثبت العلم الحديث أيها الرفاق أن اللبن والتفاح يحتويان على مواد ضرورية لصحة الخنازير ، ونحن نشتغل بعقولنا ، ونتولى بأنفسنا إدارة المزرعة وتنظيم شئونها ، ونحن ليل نهار الساهرون على خيركم ، العاملون على ما فيه إسعادكم ، فنحن من أجلكم « أنتم » نشرب اللبن ونقضم التفاح ، فهلا تدبرتم معاشر الرفاق ماذا يحدث لو قصرنا نحن فى تأدية واجباتنا ، ألا تعلمون أن السيد جونز لا بد عائد إذا نحن عجزنا عن تدبير أمركم والسهر على رفاهيتكم ، إى والله ، إنه يومئذ لعائد . . .

وراح سكويلر يتمايل ذات اليمين وذات الشمال ويهز ذيله هزًّا ، ويغير من صوته ، مناشداً وهو يقول : «لا ريب فى

أنه ليس فيكم من أحد يريد أن يراه عائداً » .

والواقع أنه لم يكن منهم أحد يود أن يراه راجعاً ، فلا غرو إذا لم يجدوا مجالا لقول ، ولا سبيلا إلى احتجاج ، فقد كانت ضرورة الحرص على صحة الخنازير ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى جدال .

وكذلك سلم القوم بوجوب الاحتفاظ للخنازير وحدها باللبن الحليب والتفاح المتساقط منه والمقطوف على السواء . . .

— ٤ —

وكاد الصيف يدنو من ختامه .

وراجت أنباء ما وقع فى « مزرعة الحيوانات » فى البلاد المجاورة ، وسرت بها الأحاديث فى كل ناحية .

وجعل نابوليون وسنوبول يرسلان فى كل يوم أسراباً من الحمام مزوّدة بتعليمات تقضى بوجوب الاختلاط بالحيوانات فى المزارع المجاورة لتتحدث إليهم عن « الثورة » وتدربهم على « النشيد القومى » الجديد وتبث فيهم المبادئ والتعاليم .

وكان المستر جونز قد قضى أكثر هذا الوقت جالساً فى حانة « الليث الأحمر » بقرية ولنجدون شاكياً لطوب الأرض ما جرى له ، متحدثاً عن خروجه بليله من المزرعة .

وقد استمع المزارعون الآخرون له ورثوا مبدئيًّا لحاله ، ولكنهم لم يبذلوا له معونة كبيرة ، بل كان كل منهم فى أعماق صدره يفكر فى الأمر من ناحية مصلحته ، ويسائل نفسه أليس من سبيل إلى استغلال ما أصاب زميلهم والانتفاع بمحنته .

ومن حسن الحظ أن المزارعين اللذين يملكان المزرعتين المجاورتين لمزرعته كانا أبداً على خلاف مستحكم ، وفى نزاع مستمر .

وكانت إحدى المزرعتين تدعى فوكسوود ، وهى ضيعة كبيرة مهملة عتيقة الطراز كثرت فيها الآكام ، وقد ذبلت منها المروج ، وصوّحت الحقول ، وتلفت المراعى من عوزها إلى المتعهد الراوى ، والمنظم الصالح الرشيد .

وكان ربها يدعى المستر بلكنجتون ، وهو رجل « على نياته » يقضى أكثر وقته فى صيد الأسماك أو الخروج للقنص ، وفقاً للموسم ، وتبعاً لفصول العام .

أما المزرعة الأخرى فكان يطلق عليها « بنشفليد » ، وهى أصغر من الأولى ، وأحسن حالا وأوفر نظاماً .

وكان صاحبها يدعى « المستر فردريك » وهو رجل شديد المراس ، قوى الشكيمة ، ذكى الخاطر ، بالغ المكر ، ينفق الأيام فى القضايا ، ويولع بالمساومات ، والدخول فى مختلف الصفقات .

وكان كل منهما يكره الآخر ويجتويه ، حتى ليصعب عليهما الاتفـــاق يوماً على شىء وإن اقتضاه الدفاع عن مصالحهما الخاصة .

ولكنهما كانا مشفقين من « الثورة » التى نشبت فى المزرعة المجاورة ، وكلاهما فى وجل مقيم من عواقبها ، وخشية بالغة من أن تصل العدوى إلى الحيوانات فى مزرعته ، فتفعل كما فعلت زميلاتها فى الضيعة القريبة .

وجعلا يعزيان نفسيهما بقولهما إن هذه الثورة لن يمضى عليها أسبوعان حتى تخمد ، ويزول أثرها ، لأن الحيوانات فيها قد اختلفوا فيما بينهم ، وتنازعوا أمرهم ، ولن تلبث أن تفشل عصبتهم ، وتذهب ريحهم ، وهم موشكون على مجاعة عامة ، ومهلكة عاجلة .

ولكن لما مضت الأيام ، ولم تقع مجاعة فى مزرعة الحيوانات ، بدأ المزارعان فردريك وبلكنجتون يغيران لهجتهما ، ويتحدثان عن الجرائم والجنايات المنكرة التى فشت فيها ، ويشيعان أن الحيوانات يأكل بعضها بعضاً ، ويفترس كبارها صغارها ، ويعذب الأقوياء فيها الضعفاء بالكى والدمغ بالنار والحديد المحمى ، ويتشاركون فى إناثهم ، ويعدو الأزواج على نساء البعول الآخرين ، وكل ذلك إنما جاء نتيجة التمرد على نواميس الطبيعة ، وشرائع الحياة ، وتقاليد الدنيا ونظمها وعاداتها المرعية .

ولكن هذه الإشاعات والأراجيف لم تجد المصدقين لها فى كل مكان ، ولم تصادف المؤمنين ، بل بالعكس ظل الحديث عن هذه المزرعة العجيبة التى طرد الناس منها وتولت الحيوانات فيما بينهم أمورها ، وقاموا أحسن القيام على إدارتها وتدبير شئونها ، يسرى فى القرى والدساكر ، ويعم المزارع والضياع ، فلم يكد يحول الحول حتى أخذت موجة من الثورة تكتسح الريف كله وتغمر الإقليم بجملته

ولم تلبث الثيران التى كانت من قبل وديعة أن انقلبت فجأة مفترسة هائجة ، ومضت الأنعام تهدم الأسوار والسياج ، وتفشو فى البرسيم ، وراحت البقر تركل بسيقانها الجرار والقدور متأبيات على الحلب ، وانثنت الخيل ترفض القفز من فوق الحواجز ، وترمح راكبيها وتنطلق حارنة أو هائمة على وجوهها فى الحقول ، وأصبحت ألفاظ النشيد القومى الذى وضع قبيل الثورة منتشرة فى كل مكان .

جرى ذلك فى عجلة غريبة ، ولم يكد الناس يسمعون ذلك النشيد الجديد حتى استولى الحنق عليهم ، وفار تنور غضبهم وإن تظاهروا بأنهم منه ساخرون ، وهم قائلون إنهم لا يفهمون كيف رضى الحيوانات التغنى بهذا الكلام السقيم وإنشاد هذا

اللحن الغث المبتذل .

وكلما وقعوا على حيوان لديهم وهو يغنى بها أو يغمغم ألهبوا بالسياط ظهره فى الحال وأوجعوه ضرباً .

ووضعوا العقوبات على الذين يعرف عنهم أنهم يمتون إلى هذه المبادئ الهدامة ، أو يروجون لهذا المذهب المدمر .

ولكن النشيد ظل يسرى ، لا غالب له ، ولا سبيل إلى القضاء عليه .

وإذا الطير على الأفنان تترنم به ، والحمام يهدل بلحنه هديلا مخافتاً ، وكادت أنغامه تختلط بأصوات المطارق على السنديان عند الحدادين ، وتمتزج بدقات النواقيس فى كنائس العابدين والمصلين .

وكلما أصغى الناس إلى أنغامه ارتعدت منهم الفرائص سرًّا ، ووجلت خفية قلوبهم ، وأشفقوا من أن يكون نذيراً بمصيرهم المحتوم . . . . !

وما إن حلّ شهر أكتوبر حتى تمّ جمع الغلة وحمل المحصول إلى المخازن ، وبدأ الدرس أو أوشك ، حتى جاء سرب من الحمام فرف بأجنحته الخفاقة على فناء دار المزرعة ، وهو فى قلق وعجلة مروعة .

وتبين عندئذ أن المستر جونز ورجاله ، ونفراً من أهل مزرعة فوكسوود ، وآخرين من مزرعة بنشفيلد قد اجتازوا البوابة العامة وهم فى طريقهم إلى المزرعة .

وكانوا جميعاً مسلحين بالهراوات ، خلا السيد جونز ، فقد كان فى الطليعة يحمل بندقية .

وتبين أنهم جاءوا ليستردوا المزرعة .

وكانت معاشر الحيوانات مرتقبين هذا اليوم من عهد طويل فأعدوا له عدته ، وأخذوا له أهبته .

فقد عكف « سنوبول » بعد دراسة عدة كتب قديمة عن حروب « يوليوس قيصر » عثر عليها فى المزرعة ، على تدبير مقتضيات الدفاع ووسائل التحصين .

فلم يلبث أن أصدر أوامره ، فلم تمض لحظات حتى كان كل حيوان مستوياً فى الموضع المعين له ، على أتم الأهبة للقاء الغزاة المعتدين .

ولما اقترب الزاحفون من مبانى المزرعة ، بادرهم سنوبول بالهجمة الأولى .

وانطلقت الحمائم ، وهن خمس وثلاثون أو يزدن ، يحلقن فوق رؤوس القوم الغزاة ، ويسلحن عليهم من الفضاء ، وبينما

كان هؤلاء منشغلين بهذا « الزبل » الهاطل عليهم ، إذ اندفع الأوز وكان مختفياً خلف العوسج ، فجعل ينقر سيقانهم نقراً ، ويعض أرجلهم عضًّا .

وكانت هذه فى البداية « مناورات » أو مجرد « مناوشات » تمهيدية ، لإحداث الفشل فى الصفوف ، فلم يلبث الرجال أن تمكنوا من تشتيت الأوز بالهراوات .

وعندئذ وجه سنوبول الهجمة الثانية . . .

فإذا هو يهجم على رأس الغنم وينضم إليه الجدى والحمار ، وإذا هم ينطحون الغزاة بالقرون من كل ناحية فى حين مضى بنيامين يرفسهم بمؤخريه .

ولكن الغزاة أيضاً بهراواتهم ومهاميز نعالهم الطويلة لم يلبثوا أن تغلبوا عليهم ، وعندئذ ارتفعت فجأة صيحة شديدة من عقيرة « سنوبول » فكانت إيذاناً بالانسحاب ، وإذا بالحيوانات تولى الأدبار ، مسرعة نحو البوابة إلى الفناء .

وعندئذ أرسل الغزاة صيحة مدوية من الفرح بالانتصار فقد لاح لهم من فرار العدو أنهم قد أصابوا الغلبة عليه ، وانطلقوا فى أثره منتشرين موزعين .

وهذا ما كان سنوبول يرتقبه من الانسحاب .

فلم يكد الفناء يحصر المهاجمين ، حتى خرج الأحصنة الثلاثة ، والأبقار الثلاث ، ومعاشر الخنازير والحلاليف ، من الكمين الذى نصبوه تحت السقيفة ، فهاجموهم من المؤخرة ، وانقضوا عليهم من خلاف ، وأصدر سنوبول « الإشارة » بالهجوم ، ومضى هو بنفسه يهجم على جونز رأساً ، ولكن هذا بصر به وهو مندفع صوبه ، فرفع بندقيته وأطلق النار ، وإذا بالقذائف تحدث جروحا دامية فى ظهره ، وتصيب إحداها كبشاً فيخر صريعاً يتشحط فى دمه ، ولكن سنوبول لم يتردّد لحظة واحدة فى إلقاء نفسه بكل ثقله على ساقى جونز ليجندله ، وإذا بالرجل يسقط فوق كومة من « السباخ » كانت قائمة خلفه ، وإذا البندقية تمرق من كفه .

ولكن المشهد الرهيب المروع كان منظر الحصان « بوكسر » فقد ذهب فى خطفة البرق يرتكز على مؤخريه ، ويضرب بحافريه الأماميين ضربات سريعة موجعة ، وكانت الضربة الأولى قد أصابت رجلا من أهل ضيعة « فوكسوود » فكسرت جمجمته وألقته على الثرى صريعاً خامد الأنفاس .

وعلى المشهد ألقى فريق من المهاجمين الهراوات من أيديهم وحاولوا الفرار .

وما لبث الفزع أن استولى على الجمع فانطلقوا هاربين .

وما هى إلا لحظة أخرى حتى كان الحيوانات فى أثرهم مطاردين وهم يدورون فى الفناء ، ويوسعونهم ركلا وعضاً ودوساً بالأقدام فلم يبق منهم أحد إلا أخذ ثأره من الغزاة على طريقته ، وجهد قواه ، حتى القطة ذاتها لم تلبث فجأة أن قفزت من فوق سطح على كتف رجل منهم فراحت تغيب أظافرها فى عنقه ، وجعلته يصرخ صراخاً مروعاً من فرط الألم .

وتحين الغزاة لحظة هدوء وسط المعركة الناشبة ، فاندفعوا نحو باب الفناء يطلبون الطريق العام .

وهكذا لم تنقض دقائق معدودات حتى كان نصيبهم الهزيمة النكراء ، فعادوا من حيث أتوا ، وفى أثرهم سرب من الأوز يتعقبهم ويعض سيقانهم عضاً .

وقد تراجع القوم على هذه الصورة ، خلا واحداً ، لبث مجندلا ، والحصان « بوكسر » قائم على رأسه ، يحاول بحافره قلبه على ظهره ، وكان قد سقط مكباً على وجهه .

ولكن الرجل ظل جامداً لا حراك به .

وأنشأ بوكسر يقول بحزن : « لقد مات ، وما كنت أريد

أن أفعل ذلك به ، فقد نسيت الحديدة التى تكسو حافرى ، ولكن من ذا الذى سيصدق أننى ما فعلت هذا عن عمد ؟؟ »

فصاح به سنوبول وكان الدم لا يزال يقطر من جروحه : « حسبك أيها الرفيق ، ولا تنسق مع عواطفك ، إن الحرب هى الحرب ، وما قتلت يا صاح غير إنسان ، والإنسان لك عدو مبين . »

فقال بوكسر والعبرات تفيض من عينيه : «لا أريد أن أنتزع حياة أحد ، حتى ولو كان إنساناً . . . » .

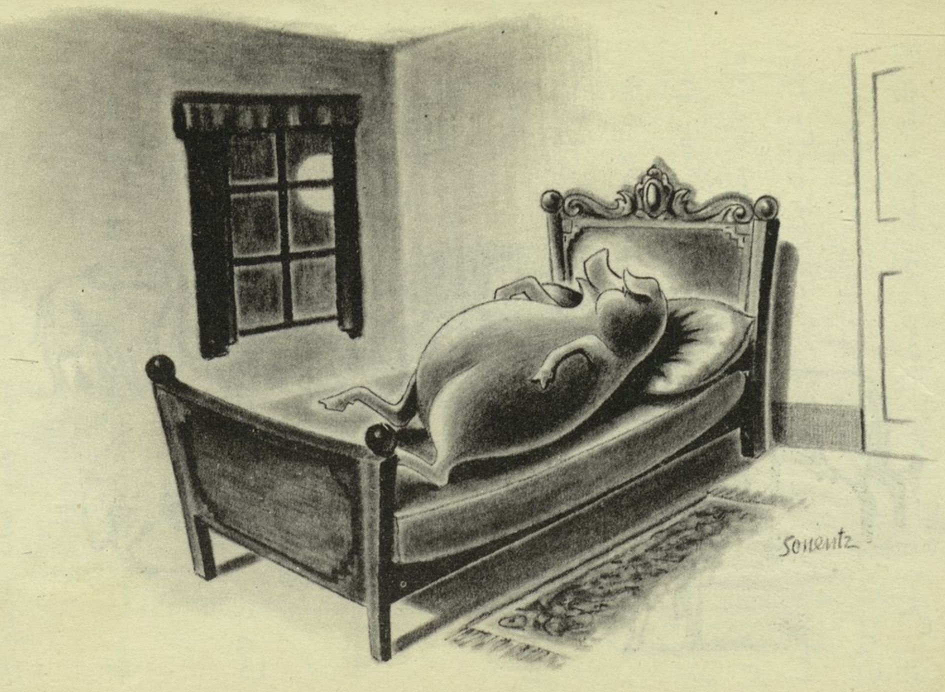
وصاح أحدهم يقول : وأين مولى . . . ؟ ؟

ولم تكن الفرس عن كثب ، ولا عرف أحد أين ذهبت ، فلم يلبث القلق أن اشتد عليها ، وخيف أن يكون الغزاة قد أصابوها بأذى ، أو اختطفوها اختطافاً .

ولكنهم بعد البحث وجدوها مختفية فى مربطها دافنة رأسها فى تبن « المزود » .

وتبين أنها التمست الفرار حين سمعت دوى الرصاص .

ولما عاد القوم من البحث عنها ، والاهتداء إليها ، لم يجدوا الرجل الذى كان مجندلا ، وظن أنه ذهب فى الهالكين ، فقد كان فى غشية ، فلما أفاق لاذ بأذيال الفرار ناجياً . .



« بل مضوا ينامون على السرر » ص ٩٧



« فوقفوا ينظرون الى الانقاض المتراكمة واجمين محزونين » ص ١٠٢

وكان الحيوانات قد عادوا إلى الاجتماع ، وهم فى أشد الحماسة والهياج ، وراح كل منهم يعدد فعاله الجسام فى المعركة بأعلى صوته ، ويبين آيات شجاعته وبطولته .

وأقاموا فى الحال حفلة ابتهاج بالنصر ، وكانت حفلة مرتجلة عاجلة .

ونصب العلم على السارية وأنشد النشيد القومى الذى وضع تحية للثورة .

وتلا الاحتفال بالنصر تشييع جنازة الكبش الذى استشهد فى القتال .

وغرست شجرة عضاء فوق مقبرته .

ووقف سنوبول على القبر يخطب مؤكداً وجوب التعاهد على الموت فى سبيل الدفاع عن المزرعة إذا اقتضى الحال .

وقرر الحيوانات بالإجماع إنشاء أوسمة عسكرية .

ولم تمض لحظات حتى اجتمع الرأى على إصدار وسام يطلق عليه وسام البطولة من الدرجة الأولى ، والإنعام به فى الحال على سنوبول وبوكسر ، وهو وسام مؤلف من « مدالية » نحاسية صنعت من النحاس القديم الذى وجد فى مخزن السروج والأطقمة ، وصدر الأمر بتحديد مراسم التحلى به ، وهى أيام

الآحاد والمواسم والأعياد .

وصنع وسام آخر أطلق عليه وسام البطولة من الدرجة الثانية ، وتقرر الإنعام به على الكبش الشهيد . . . !

وجرى نقاش طويل حول الاسم الذى يصح أن يطلق على المعركة .

وانتهى الجدال إلى القول بتسميتها « معركة السقيفة » لأنها الموضع الذى دبر الكمين فيه .

وعثروا على بندقية المستر جونز ملقاة فى الطين ، وكان القوم يعرفون أن فى المزرعة خراطيش ملأى بالطلقات ، فقرروا أن تقام البندقية عند أسفل السارية ، كأنها رمز للمدفعية ، وإطلاقها مرتين فى العام ، مرة فى ١٢ أكتوبر ذكرى « معركة السقيفة » ومرة فى ٢٦ يونية ذكرى « الثورة العامة » .

— ٥ —

وعلى مقترب الشتاء بدأت « موللى » تكثر من إحداث المتاعب وتتأخر فى كل يوم عن الذهاب إلى العمل معتذرة بأن النوم سرقها وتشكو آلاماً غير معروفة ، وأوجاعاً غير ظاهرة ، وإن ظل إقبالها على الطعام شديداً ، وشهوتها إلى العلف حادة .

وكثيراً ما كانت تتعلل بمختلف المعاذير لتهرب من العمل وتذهب إلى الترعة فتقف على الضفة تتطلع إلى وجهها فى صفحة الماء .

ولكن لم تلبث أن راجت إشاعات أخرى حولها .

ففى ذات يوم وهى تخطر فى الفناء متدللة ، مرسلة معرفتها فى زهو وخيلاء ، دلفت الفرس الأخرى « كلوفر » إليها فوقفت بجانبها وأنشأت تتحدث إليها .

قالت : اسمعى يا موللى ، إن لدى شيئاً خطيراً أريد أن أفضى إليك به . . . لقد رأيتك فى هذا الصباح تطلين برأسك من فوق السياج الذى يفصل هذه المزرعة من مزرعة فوكسوود

وأبصرت رجلا من عمال المستر بلكنجتون واقفاً على الجانب الآخر منه ، وكنت عنكما بمنأى ، ولكنى على يقين مما شهدته . . . لقد رأيت ذلك الرجل يتحدث إليك ، وبصرت بك وأنت تسمحين له بأن يربت بيده على أنفك ملاطفاً. فما خطبك يا موللى وما سر هذا الذى كان منك . . . ؟ ؟

فصاحت بها وهى تتهادى وتضرب الأرض بحافرها : « هذا ليس صحيحاً . . إننى لم أفعل ذلك » .

قالت : أى موللى ! ضعى عينك فى عينى ، وأقسمى لى ألم يكن ذلك الرجل يربت على أنفك ؟ ؟

فعادت تقول : « كلا . ليس هذا صحيحاً . . . »

ولكنها لم تجرؤ على النظر فى وجه صاحبتها ، بل انطلقت تعدو إلى الحقل هاربة .

ووقفت « كلوفر » لحظة تفكر ملياً ، وإذا بخاطر جديد يدور فى رأسها ، فانطلقت فى صمت إلى مربط « موللى » ، وجعلت تقلب التبن رأساً على عقب بحافرها ، وإذا بها تكشف من تحته عن كومة صغيرة من قطع السكر وعدة أشرطة مختلفة الألوان .

وما لبث موللى بعد ثلاثة أيام أن اختفت .

وانقضت أسابيع ولا يعرف القوم أين ذهبت ، ولكن الحمامات جاءت تقول إنها قد رأتها فى مزرعة بلكنجتون المجاورة ، وكانت مشدودة إلى « دوكار » جميل طلى ظاهره بالأحمر والأسود ، وكان واقفا بباب إحدى الحانات ، وعن كثب منها بدا رجل ضخم البدن أحمر الوجه ، وهو يربت على أنفها ويلقمها سكراً .

وكان غطاء ظهرها جديداً ، وقد انعقد شريط قرمزى اللون حول معرفتها ، وهى تلوح فرحة بنفسها راضية عن عيشها الجديد .

ومن ذلك الحين لم يكن أحد من الحيوانات يورد ذكر موللى على لسانه أو يذكرها بخير أبداً . . .

وحل شهر يناير ، فانقلب الجو فيه ، وجمدت الأرض وانقطع العمل فى الحقل .

وانعقدت عدة جلسات فى الجرن الكبير وعكفت الخنازير على وضع الخطط للعمل فى الموسم القادم .

وظهر أن الحيوانات قد سلموا جميعاً بأن الخنازير الحذاق البراعة هم الذين يتولون دراسة السياسة العامة ويقررون ما يرونه بسبليها ، وإن احتاج الأمر إلى عرض قراراتهم على الجمعية

العامة ، فلا يصح العمل بها إلا إذا وافقت الأغلبية عليها .

وكان هذا التدبير ممكنا أن يصح ويطرد السير عليه، لولم يقع النزاع أبداً بين نابولون وسنوبول ، فقد كانا يختلفان على كل أمر يصح فيه الخلاف ، فإذا اقترح أحدهما التوسع فى زراعة الشعير ، انبرى الآخر يطلب زيادة المساحة المخصصة لزراعة « الشوفان » ، وإذا قال الأول إن هذا الغيط أصلح ما يكون لزراعة الكرنب ، اعترض الثانى قائلا إنه لا يصلح إلا لزراعة الجزر ، أو البنجر . . . !

وكان لكل منهما أنصاره ومريدوه .

وكانت المناقشات غالباً حامية ، والجدل عنيفاً مستعر الأوار .

ولكن سنوبول كان فى الجمعية العامة يكسب الأغلبية بخطبه الرنانة ، وبياناته البارعة ، وإن كان نابليون أحذق منه فى فنون المناورات ، والظفر بالمريدين فى الفينة بعد الفينة ، وكان المحبوب من الغنم خاصة .

وكان الغنم فى الأيام الأخيرة قد أولعوا بإنشاد اللحن المختصر «ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أشرار » حتى ليرددوه مراراً كلما قام سنوبول ليخطب الجمع ، تهويشاً ومقاطعة وتهانفاً به .

وكان سنوبول قد عثر فى الدار على أعداد قديمة من مجلة زراعية اقتصادية تكثر من إيراد المناهج ودراسة الخطط للتجديد والابتكار والابتداع ، فأقبل على قراءتها حتى عرف من شئون الزراعة الشىء الكثير ، ومضى يتحدث عن علم فى مختلف الموضوعات ، كالرى والصرف والتسميد وصناعة « الأسبخة » العضوية ، وانتهى من دراسته إلى وضع مشروع يرمى إلى توفير الجهد الذى يبذل فى نقل الروث وهو أن يخرج الحيوانات إلى التبرز فى الحقل ، ويتنقلوا من موضع فيه إلى آخر ، يوماً بعد يوم ، حتى يجتمع السباخ من فضلاتها فى كل ناحية من الغيط .

وعجز نابوليون عن معارضة هذا الاقتراح بشىء طريف من عنده فذهب يقول إن اقتراح سنوبول سوف لا يجدى ، وإنه يمهل الحيوانات حتى يروا فشله رأى العين على مرّ الأيام .

ولكن لا نحسب الخلاف اشتد بينهما على أمر اشتداده على بناء « الطاحون » .

فقد كانت تقوم وسط المروج ربوة صغيرة تشرف على السهول المترامية من حولها ، وكان سنوبول قد ذهب لمسحها ومعاينتها ، ثم عاد يعلن أنها أفضل بقعة لبناء طاحون عليها

وتركيب « محرك » لإمداد المزرعة بالقوى الكهربائية ، حتى تتيسر إضاءة المرابط وتدفئتها فى الشتاء وإدارة منشار كهربائى ومدراس للغلال ومحش للبرسيم والقش وآلات لحلب الماشية .

ولم يكن الحيوانات قد سمعوا بشىء كهذا من قبل فقد كانت المزرعة قديمة ولا تحوى غير الآلات العتيقة ، فظلوا يستمعون إليه فى دهشة بالغة وهو يصور لهم أعجب الأجهزة وأغرب الآلات ، ويقول لهم إنها ستتولى العمل عنهم ، فلا يبقى عليهم غير الرعاية فى الحقول والإكباب على القراءة والاستزادة من العلوم .

ولم تنقض بضعة أسابيع حتى أتم سنوبول وضع التفاصيل والدقائق المتصلة بالمشروع .

وقد رجع فيها ، أو فى أكثرها ، إلى ثلاثة كتب وجدها فى دار جونز ، أحدها يدعى « ألف فائدة منزلية » والثانى عنوانه « كيف تبنى دارك بنفسك » والثالث « بسائط فى علم الكهرباء » .

واتخذ سنوبول لدراسته مكاناً أشبه بسقيفة صغيرة كانت تستخدم من قبل للتفريخ ، ولها أرضية خشبية ناعمة تصلح للرسم عليها .

فكان ينكمش فى العمل بها عدة ساعات ، ناشراً كتبه بين يديه ، وممسكاً بقطعة من الطباشير ، ليرسم بها الخطوط ، وهو يهمهم فى حماسة صادقة للعمل .

وما لبثت الخطط أن تحولت بالتنفيذ إلى كتل من الآلات الرافعة والعجلات والأجهزة الدقيقة حتى كادت تشغل نصف مساحة السقيفة أو يزيد .

وكان الحيوانات يقفون بها أحياناً مشدوهين لا يدرون من أمرها شيئاً وإن كان أثرها فيهم بالغاً .

ولم يبق فيهم أحد لم يأت لمشاهدتها ، حتى الدجاج والأوز جا وا يتأملونها ، وهم فى حذر شديد من أن تطأ أرجلهم الخطوط المرسومة بالطباشير فتذهب بمعالمها الظاهرة .

أما نابوليون فقد لبث عنها بمعزل .

وكان قد أعلن من البداية أنه ضد بناء الطاحون ولكنه جاء فى ذات يوم فجأة ليفحص الخطط والتصميمات وظل يمشى متثاقلا حول السقيفة ، مطلا على كل دقيقة من المشروع وهو يرفع أنفه أحياناً سخرية منها واستهزاء بها ، وانتهى به المطاف حولها إلى وقفة طويلة وهو ينظر إليها من طرف عينه ، وإذا به يرفع إحدى قوائمه ويسلح عليها ، ثم ينطلق صامتا

لا يقول شيئاً .

وانقسم أهل الضيعة فى أمر الطاحون فريقين .

ولم يفكر سنوبول أن بناءه سيكون مهمة شاقة عسيرة لأنه سيتطلب قلع الأحجار من المقالع وبناية جدران وإقامة أجنحة ، وإنشاء محركات وأسلاك « وكابلات » ، ولم يكن أحد يدرى من أين له بتلك كلها ، ولكنه كان يصرح للقوم بأن إعدادها سوف يستغرق عاماً كاملا ، وأن إقامتها ستغنى الحيوانات مع ذلك عن الجهد الذى يبذلونه فى المزرعة ، فلا يحتاجون بعد اليوم إلى العمل أكثر من ثلاثة أيام فى الأسبوع .

وكان نابوليون فى معارضته للمشروع يحتج بأن الحاجة الكبرى فى الظروف الحاضرة هى زيادة الإنتاج الغذائى وأنهم سوف يموتون جوعاً إذا أنفقوا الأيام سدى فى مشروع الطاحون وبنائه .

واختلف القوم بين هذين الزعيمين ، فقام منهم حزب ينادى بتأييد سنوبول و « مشروع أيام العمل الثلاثة » ، وانبرى آخر يقول بمظاهرة نابليون وتنمية الإنتاج الزراعى .

وكان الحمار « بنيامين » هو الحيوان الأوحد الذى لم ينحز

إلى هذا الحزب أو ذاك .

فقد أبى أن يصدق أن الأغذية ستصبح أوفر وأكثر ، ورفض أن يعتقد أن بناء الطاحون سيكون وسيلة للاقتصاد فى الجهد والعمل .

ومضى يقول : « سواء بنى الطاحون أم لم يبنَ ، ستمضى الحياة بنا كما كان دأبها أن تمضى ... سيئة لا خير فيها ولا رجاء منها » .

وبغض النظر عن ذلك الخلاف القائم حول الطاحون ، كانت هناك أيضا مسألة الدفاع الداخلى ضد الغزو والعدوان .

فقد أدرك الجميع حق الإدراك أنه من الجائز أن يحاول الآدميون الغزْو مرة أخرى ، وإن انهزموا أول مرة وردوا على أعقابهم مدحورين ، فمن يدرى لعلهم فى المرة التالية مستعيدون الضيعة رادّون صاحبها القديم إليها .

وكانت حجتهم فى ذلك أن أنباء الهزيمة الأولى شاعت فى البلاد كلها فهاجت لها الحيوانات فى القرى والضياع ، وبات محتماً أن يحاول الناس الغلبة على هذه الحركة الجديدة ، وتشديد العزم على إبادة هذه الروح الهدامة الطارئة .

ولكن نابوليون وسنوبول اختلفا أيضاً فى مسائل الدفاع والتحصين .

فكان رأى نابوليون أن لا غناء للحيوانات عن الأسلحة النارية أولا والشروع بعدئذ فى التدريب على حملها واستخدامها فى حين مضى سنوبول يقول بوجوب لإكثار من إيفاد الحمائم لبث بذور الثورة بين الحيوانات فى كل ضيعة ومزرعة .

وكان الأول يؤيد رأيه بقوله إنهم مهزومون لا محالة إذا هم عجزوا عن الدفاع ، وراح الآخر يحتج بأنه إذا انتشرت الثورة فى كل مكان فيومئذ لا يحتاج الأمر إلى الدفاع عن مزرعتهم ، ما دامت الحيوانات فى العالم كله ثائرة بمبادئها الجديدة على النظام القديم .

وأصغى الحيوانات أولا إلى نابوليون ، ثم استمعوا بعده إلى سنوبول ، ولكنهم لم يتبينوا أى الرأيين أرجح .

والواقع أنهم كانوا فى كل مرة يقرون الخطيب الذى يتحدث إليهم ، فإذا استمعوا إلى الآخر أقروه أيضاً ، وظلوا بين الرأيين حيارى تائهين . . . !

وجاء أخيراً اليوم الذى أتم فيه سنوبول خططه ، واستكمل دراسة مشروعه ، وتهيئة وسائله ومطالبه ، وتقرر أن يؤخذ الرأى خلال الاجتماع التالى الذى سيعقد يوم الأحد من الأسبوع القادم فيما إذا كان يصح البدء بالتنفيذ أم لا . . .

وحل يوم الأحد ، وتقاطر القوم على الاجتماع فى ساحة الجرن الكبير ونهض سنوبول وسط رغاء الغنم للتهويش عليه ، ومقاطعته ، فبسط الأسباب التى تقتضى بناء الطاحون .

ووقف على أثره نابوليون لتفنيدها .

فقال بكل هدوء : إن بناءها فكرة سقيمة وضرب من الهراء وإنه ينصح القوم بأن لا يقروه عليها .

وجلس مكانه ولم تستغرق خطبته لحظات وهو غير مكترث بما قد يكون لها من الأثر فى نفوس مستمعيه .

وعندئذ انبرى سنوبول مستوياً على ساقيه وزعق زعقة شديدة فى جماعة الغنم ليسكتهم عن المقاطعة والتهويش ، وانطلق فى حماسة متقدة يناشد القوم إقرار مشروع الطاحون .

وكان الحيوانات إلى تلك اللحظة منقسمين على أنفسهم فى أمرها ، ولكن لم تلبث بلاغة « سنوبول » أن فتنتهم بسحرها الخلاب ، فقد مضى بعباراته البراقة وقوله المبين يصور لهم المستقبل فى أزهى الصور ، ويعدهم أجمل الوعود ، ويرسم لهم الحياة القادمة فى أروع الرسوم ، مبيناً لهم كيف سترفع عن ظهورهم الأعمال الشاقة التى أنقضتها ، وتهيىء لهم عيشاً ليناً رغداً .

ولم يعد خياله الباهر يقف عند حدود المناجل والمداريس والمحاش ، بل مضى يقول لهم إن الكهرباء ستغنيهم عن أولئك كلها ، لأنها هى التى ستتولى الدرس والحرث والتقصيب والتخطيط وجنى « والتشوين » وما إليها ، وهى التى ستزود كل مربط بالأنوار والمياه الساخنة والباردة والمدافئ التى تزيل القر وتذهب بزمهرير الشتاء .

وما إن أتم خطبته البليغة ، حتى لم يبق شك فى أن الاقتراع سيكون جميعاً فى صفه . والآراء ستجتمع على تأييده .

ولكن نابوليون نهض فى تلك اللحظة فنظر إلى سنوبول شزراً وأرسل زعقة غريبة لم يسمع أحد مثلها منه قبل الآن .

وإذا بنباح شديد مروع ينطلق من الخارج ، وإذا بتسعة كلاب ضخمة مطوقة الأعناق بأطواق نحاسية ، قد وثبت إلى الجرن فى قفزة واحدة .

وانطلقت صوب « سنوبول » ، ولولا أنه طفر من موضعه فى مثل خطفة البرق يلتمس الفرار من أنيابها الحداد ، لهجمت عليه ومزقته تمزيقاً .

وفى لحظة بلغ الباب ، والكلاب فى أثره .

وذهل الحيوانات وتولاها الرعب ، فازدحمت بالباب لتشهد المطاردة .

وكان سنوبول يعدو عبر الحقول المؤدية إلى الطريق العام ، ولكنه كان دون الكلاب سرعة ، لأنه من معاشر الخنازير ، وهى لا تعدو عدو الكلاب المارقة ، فلا عجب إذا هى لم تلبث أن لحقت به ، ودنت من أعقابه ، وعندئذ تعثر فجأة فى عدوه ، ولم يبق شك فى أنها الظافرة به ، ولكنه ما لبث أن استوى من عثرته ، وراح يعدو أشد من قبل ، وإذا بالكلاب تلاحقه ، وكادت أنياب أحدها تطبق على ذيله لولا أن انتزعه انتزاعاً ، ومضى عادياً ، يحاول الخلاص منها جاهداً ، حتى أتى على ثغرة فى السياج فمرق منها وتوارى بالحجاب...

أما معاشر الحيوانات فقد تسللت إلى الجرن فى صمت بالغ ، ووجل شديد .

ولم تمض لحظة حتى عادت الكلاب أدراجها .

ولم يستطع أحد فى الجمع لأول وهلة أن يتصور من أين أتت تلك الكلاب الضارية .

ولكن لم تلبث المشكلة أن حلت .

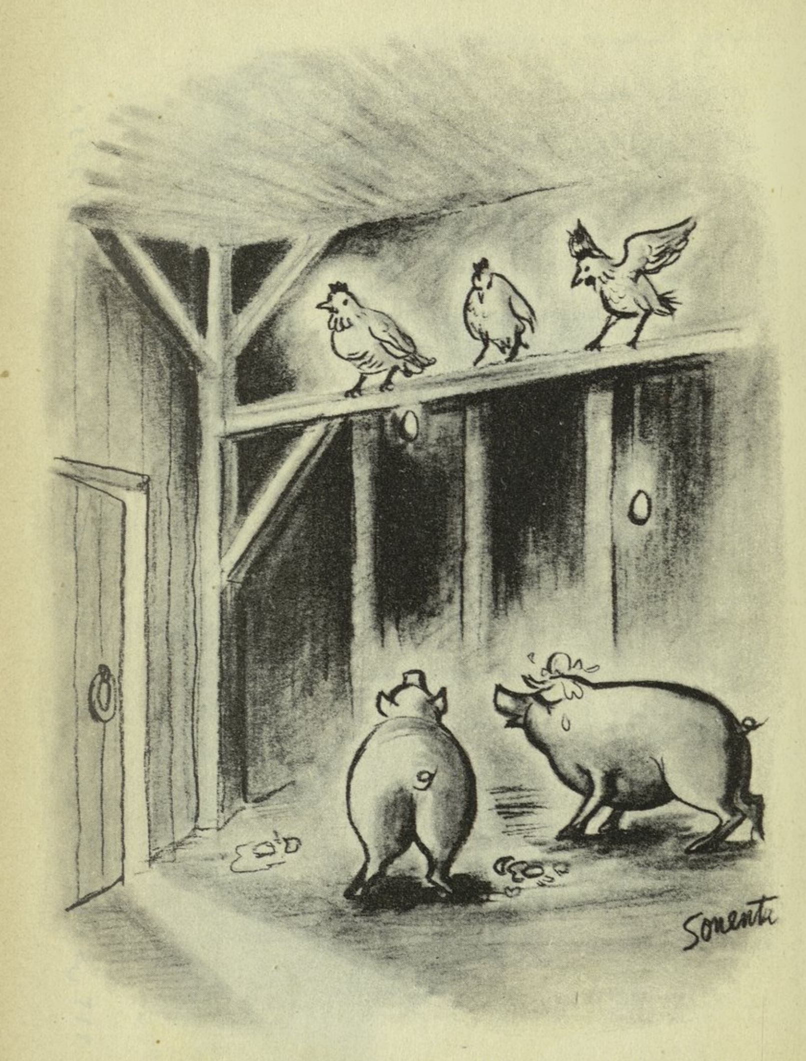
وعرف القوم أن هذه الكلاب هى بذاتها تلك الجراء الصغيرة التى كان نابوليون قد انتزعها من والدتها وتولى تربيتها بنفسه ، وتعهدها برعايته .

ولم تكن قد بلغت كمال نضجها ، ولكنها كانت ضخمة الجسوم ، ضاريات كالذئاب ، وقد ظلت بجانب نابوليون لا تكاد تفارقه ، وهى تبصبص بأذنابها له كما كانت تفعل الكلاب الأخرى للمستر جونز .

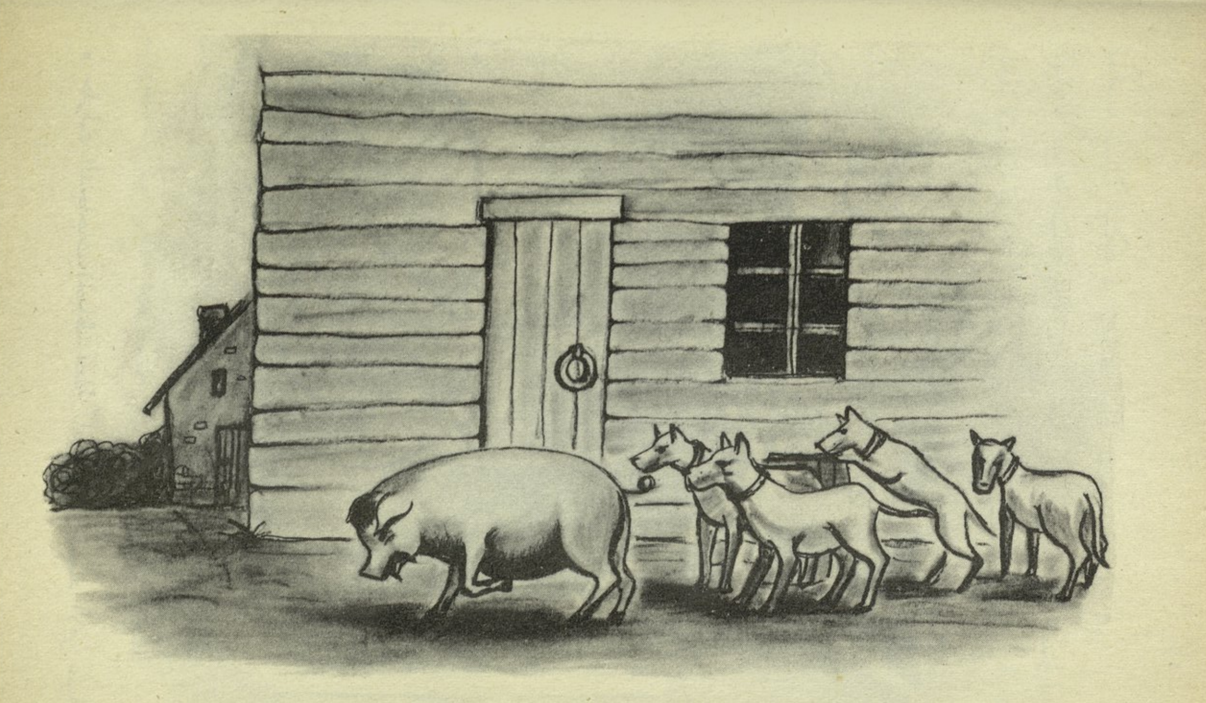
ونهض نابوليون ، والكلاب فى أثره ، فاستوى على « المصطبة » التى شهدت الحلوف الأكبر وهو يقوم من قبل فوقها خطيباً ، وراح يعلن أن اجتماعات الأحد ستلغى إذ لا ضرورة تدعو إليها ، بل هى مضيعة للوقت . وأن مختلف المسائل المتعلقة بشئون المزرعة ستعرض فى المستقبل على لجنة خاصة من الخنازير انظرها ، وأنه سيتولى بنفسه رياستها .

وقال إن اجتماعاتها ستكون خاصة ، وستذيع قراراتها عقب ارفضاضها ، وإن الحيوانات لا تعقد اجتماعاً عاماً فى يوم الأحد من كل أسبوع إلا لإنشاد النشيد القومى وتلقى برامج الأسبوع والأعمال المطلوبة فيه ، ولكنها لن تجرى مناقشات مطلقاً .

وبهت معاشر الحيوانات لما سمعوا ، رغم الصدمة التى شعروا بها من طرد سنوبول وإخراجه من المزرعة على تلك الصورة ، وهمّ فريق كبير منهم بأن يحتجوا لولا أن أعوزتهم



« حاولت الدجاجات احباط خطة نابوليون وافساد الامر عليه »



« وقرر نابوليون وجوب اجراء تحقيق فى مسألة حركات سنوبل وتسللاته » ص ١١٢

الحجج الصحيحة ، والبينات الدامغة .

ولبث الحصان « بوكسر » فى مكانه منزعجاً مبهوتاً حائراً ، ناشراً أذنيه ، هازاً معرفته عدة مرات ، محاولا استجماع أفكاره المشتتة ، ولكنه فى النهاية لم يجد شيئاً يقوله .

ولكن بعض الخنازير كانوا أقدر منه على الإفصاح ، فانبرى أربعة حلاليف من الشباب فى الصف الأول يرسلون صيحات امتعاض واحتجاج ، ونهضوا معاً للكلام دفعة واحدة ، وإذا بالكلاب المقعية من حول نابوليون تهمهم همهمة التهديد فوقف الحلاليف عن القول وعادوا إلى مجالسهم واجمين .

وتصدت الغنم لترديد نغماتها المألوفة : « كل ذوات الأربع أخيار . . . » وظلت ترفع أصواتها بها طويلا فحالت بين الراغبين فى الكلام .

وانفض الاجتماع فى سكون .

وجاء « سكويلر » بعد ذلك يطوف بمعاشر الحيوانات فى المزرعة ليشرح لهم التدابير الجديدة .

قال : يا معشر الرفاق ، إنى لأرجو أن يكون كل منكم مقدراً حق التقدير هذه التضحية التى أبداها نابوليون بتوليه هذا العمل الإضافى بنفسه ، ولا يتوهمن أحدكم أيها الرفاق أن

الزعامة لهو ولعب ، بل هى فى الحق عبء فادح ، وتبعة بالغة،
وما أحسب أحداً قد بلغ إيمانه بالمساواة مبلغ إيمان نابوليون
وكان أولى به أن يغنى نفسه عن هذا العناء الذى رضيه طائعاً، وما
أحسب شيئاً أحب إلى صدره من أن تكونوا أحراراً تقررون
بأنفسكم ما تشاءون ، ولكنكم قد تخطئون أحياناً أيها الرفاق ،
وقد يغم عليكم وجه الحق فيما ترون ، ومن يدرينا إذا أنتم أخطأتم
يوماً ماذا سيكون مصيرنا جميعاً ، تصوروا مثلا أنكم قررتم
تأييد سنوبول فى مشروعه الخيالى بسبيل بناء الطاحون ، ومن
هو سنوبول ، وماذا تعرفون عنه ، إنه مجرم أثيم ، وأخو سوء ونكر ...

وعندئذ انبرى أحدهم يقول : لقد أبلى أحسن البلاء فى
معركة « السقيفة » . فصاح به سكويلر يقول : إن الشجاعة
لاتكفى ، وما من شك فى أن الولاء والطاعة أهم وأخطر شأناً ،
أما حديث معركة السقيفة ، فإنى على يقين أنه سيأتى يوم
تتبينون جميعاً فيه أن سلوك سنوبول كان مبالغاً فيه كثيراً . . .
أيها الرفاق عليكم التمسك بالنظام . . . نعم ، النظام الحديدى ،
والطاعة المطلقة ، إى والله ، الطاعة المطلقة ، فلتكن هذه الكلمة
شعارنا اليوم ورمزنا ، لأن خطوة خاطئة تزل بها أقدامنا ، كافية
لانقضاض الأعداء علينا ، ولست أشك يا معشر الحيوانات

أنكم لا تريدون أن يعود إلى جونز المزرعة . . .

وبدت هذه الحجة مسكتة ، وفصل الخطاب ، فإن الحيوانات لم تكن تريد أن يعود جونز بلا شك ، وإذا كانت اجتماعات الأحد ومناقشاته ستعيده ، فلا بأس من وقفها ولا ضير من تعطيلها .

وفى هذه اللحظة كان الحصان بوكسر قد فكر ملياً فى الأمر وفهم المراد كل الفهم ، فمضى يعبر عن الشعور العام بقوله : « إذا قال نابوليون شيئاً فصدقوه ، لأن القول ما قاله .. »

ومن الساعة جعل بوكسر شعاره « نابوليون على حق » بجانب ذلك الشعار القديم الذى ألفناه منه وهو « سأضاعف الجهد . . »

وكان الربيع قد حل يومئذ وبدأ الحرث .

وكانت السقيفة الصغيرة التى اعتاد سنوبول العمل فيها قد أغلقت ، وذهب الظن بالقوم إلى أن الرسوم والتخطيطات التى كانت على أرضيتها الخشبية قد محيت محواً .

وجعل الحيوانات فى صبيحة كل أحد يجتمعون فى الجرن الكبير ليتلقوا البرامج والإرشادات .

وكانت جمجمة الحلوف الأكبر – الميجور – قد أخرجت من مثواها تحت الثرى فى طرف البستان ، فعلقت على قطعة

من الخشب بجانب سارية العلم والبندقية « الأثرية » .

وصدر الأمر إلى القوم بوجوب السير صفوفاً قبالة الجمجمة فى اجتماع الأحد بعد رفع العلم ، والتقدم فى خشوع واحترام ، قبل الاصطفاف فى ساحة الجرن .

وطرأ تعديل جديد على أماكنهم فى الاجتماع ، فلم يعودوا يجلسون كما كانوا يفعلون من قبل .

ويقضى هذا التعديل بأن يجلس نابوليون وسكويلر ، وحلوف آخر يدعى « مينيموس » اشتهر ببراعته فى وضع الأغانى ونظم الأشعار ، أمام المنصة المرتفعة ، فى صدر المكان ، تحيط بهم الكلاب التسعة فى شكل شبه دائرة وأن يتخذ الخنازير الآخرون خلف أولئك صفوفاً متراصة .

أما بقية الحيوانات فقد قيل لهم أن يجلسوا قبالة معاشر الخنازير فى بُهرة الجرن وصحنه .

فإذا اكتمل عقدهم ، قرأ نابوليون « الأوامر » عليهم فى لهجة عسكرية خشنة ، ثم ينشد الجميع النشيد القومى ، وينصرفون متفرقين .

وقد عجب القوم بعد الاجتماع الثالث الذى انعقد منذ طرد سنوبول من المزرعة حين سمعوا نابوليون يعلن أن الطاحون سوف

يقام ، دون أن يبدى سبباً لهذا التغيير الذى طرأ على تفكيره وانما اكتفى بتنبيه الأذهان إلى العمل الشاق الذى يراد منهم عمله فى سبيل تنفيذ المشروع ، قائلا إنه قد يؤدى أيضاً إلى إنقاص مقادير الأغذية التى تصرف لهم .

وكانت الخطط والتصميمات مهيأة جاهزة ، تشمل كل صغيرة وكبيرة ، بعد أن تولت دراستها لجنة خاصة من الخنازير منذ ثلاثة أسابيع .

وقيل إن بناء الطاحون وإحداث مختلف وسائل التحسين سيستغرقان عامين كاملين .

وجاء « سكويلر » فى مساء ذلك اليوم ليشرح لهم ما لم يكونوا مدركيه ، فقال إن نابوليون لم يعترض فى الواقع يوماً على بناء الطاحون ، بل لقد كان هو فعلا أول من أيده فى بداية الأمر وأكبر مناصريه ، وإن الرسوم والتصميمات التى رسمها سنوبول على أرض السقيفة كانت مسروقة من أوراق نابوليون ومذكراته الخاصة ، فهو إذن المبتكر ، والطاحون إذن من خالص ابتداعه ، ومحض تفكيره .

فسأل أحدهم : ولماذا كان يحمل إذن على المشروع ويعارضه ؟
وهنا عمد سكويلر إلى الابتسام ، واصطنع الاستخفاف

بالسائل وسؤاله ، وانثنى يقول لقد كان ذلك من الرفيق نابوليون مكراً وخداعاً ، فقد عارض بناء الطاحون « كمناورة » للتخلص من سنوبول ، لأنه كان شخصاً خطراً ، وصاحب نفوذ سيئ ، وأما الآن وقدتخلصنا منه، فقد خلا لنا وجه العمل دون تدخله فيه ، وهذا هو ما يدعونه فى السياسة فن « التكتيكات » .

ومضى يردد هذه الكلمة ، وهو يضحك ساخراً ، ويهز ذنبه متراقصاً طافراً . .

ولم يدرك القوم المراد من هذه الكلمة ، ولكن لهجة سكويلر كانت من قوة الإغراء ، وفتون الإقناع ، كما كانت همهمة الكلاب الثلاثة التى جاءت معه ، من رهبة التهديد ، وشدة الوعيد ، بحيث قَبِل القوم بيانه صامتين ، وارتضوا شرحه بغير سؤال ولا جواب . .

وقضى الحيوانات ذلك العام كله يشتغلون كالعبيد .

ولكنهم كانوا بالعمل راضين .

فلم يضنوا عليه بجهد ، ولا أمسكوا عن تضحية ، مدركين أنه سيجدى عليهم ، وينفع الأجيال القادمة من بعدهم ، لا لمصلحة جماعة من المستثمرين ، أو حفنة من الكسالى واللصوص والمستغلين .

وانصرم الربيع ، وتلاه الصيف ، وهم يعملون ستين ساعة فى الأسبوع .

وحل شهر أغسطس فأعلن نابوليون أن العمل سيكون أيضاً بعد ظهر الآحاد .

وقال إن العمل فيه اختيارى ، ولكن كل حيوان ينقطع عنه سيتناول نصف « جرايته » المقررة لقاء غيابه عنه .

وقد تبين مع هذا الجهد المضنى الذى اقتضاه بناء الطاحون ، أن الظروف توجب التخلى عن بعض الأعمال الأخرى فى المزرعة ، أو التهاون ولو قليلا بها ، فلا عجب إذا جاء الحصاد

يومئذ أقل نجاحاً منه فى العام الماضى ، ولا غرو إذا لم يتمكن القوم من بذر البذار فى حقلين من الحقول المخصصة لزراعة « البنجر » فى الموسم ، وهو مطالع الصيف ، لأن الحرث لم يكن قد انتهى فى موعده .

وكان ذلك كله بلا ريب نذيراً بأن الشتاء التالى سيكون شحيحاً بالخير ، أشهب معسراً .

واعترض مشروع الطاحون عدة صعاب لم تكن فى الحسبان

وكان فى المزرعة مقلع طيب من الحجارة والجير ، كما كشف القوم فى بعض المخازن عن قدر وفير من الرمل والأسمنت فتيسرت لهم بذلك مواد البناء ، ولكن المشكلة التى شق عليهم فى أول الأمر حلها هى مسألة تكسير الحجارة وتقطيعها أحجاماً مناسبة .

وبدا لهم أن لا سبيل إلى تسوية حجومها على النحو المطلوب غير استخدام الفؤوس « والقواديم » ، وهو عمل لا قبل للحيوان به ، لأنه لا يستطيع الاستواء على مؤخريه .

ولم يهتد أحدهم إلى الوسيلة الصالحة إلا بعد أسابيع قضوها فى جهد ضائع ، ومحاولة مخفقة .

وكانت تلك الوسيلة هى الانتفاع بقوة « الجاذبية » .

فقد رأوا قطعاً ضخمة من الحجارة لا تصلح كما هى ، ملقاة فى قاع المقلع ، تقتضى رفعها من مكانها .

فما كان منهم بوحى من ذلك الذى اهتدى إلى الوسيلة ، إلا أن راحوا يلفون حبالا حول تلك الأحجار ، وينثنون جميعاً ، أبقاراً وخيلا وأنعاماً ، وكل من يتيسر له الإمساك بتلك الحبال ، يشدون الحجارة بها من أسفل المقلع إلى سطحه ، حتى لقد اضطر فريق من الخنازير إلى المعاونة على الشد والجذب فى أحرج اللحظات ، وحين العسرة والتخاذل .

فإذا استوت الحجارة على قمة المقلع ، أطلقوها من الحبال فمضت تهوى من الجانب الآخر متكسرة مقطعة .

وكان نقلها بعد تكسيرها على هذا النحو عملا سهلا بالقياس إلى نقلها من بطن المقلع وقيعانه .

فقد جعلت الخيل تحملها فوق العجلات ، وأقبل الأغنام يجرون قطعاً فرادَى منها ، حتى لقد شد موريل ، والحمار بنيامين ، إلى واحدة منها فقام كل منهما بنصيبه من هذه الشغلة المضنية .

وقبل أن ينقضى الصيف توافر للقوم قدر كبير من الحجارة وبدأ البناء بإشراف معاشر الخنازير .

ولكن عملية البناء ظلت بطيئة مجهدة ، وكثيراً ما كان اليوم كله ينقضى فى محاولة رفع حجر واحد إلى قمة المقلع ، وأحياناً كان الحجر يتدهور من فوق المنحدر فلا ينكسر ولولا الجهد الذى بذله بوكسر لما استطاع القوم شيئاً ، فقد كانت قوته تعدل قوى الحيوانات الأخرى مجتمعة ، وكلما بدأ الحجر ينحدر ويجذب معه الحيوانات التى كانت متضافرة على رفعه وهى تتصايح من الخوف ، وتزعق من خشية التردى ، كان بوكسر الحيوان الأوحد الذى يحمل على قواه فيمنع الحبل من الإفلات ويوقف الحجر عن الانحدار ، ولو رأيته وهو يصعد المنحدر لاهثاً ، وأطراف حوافره سائخات فى الأرض ، والعرق يتصبب من جبينه ، لتولاك الإعجاب به كما كان يعجب به القوم وهم وقوف ينظرون .

وكانت الفرس « كلوفر » أحياناً تحذره من الإجهاد البالغ ، وتبصره بعاقبة الإسراف فى التفانى ، ولكنه لم يكن يسمع لها ، أو يحفل بنذرها ، فقد كان شعاره « سأضاعف الجهد » و « نابوليون على حق دائماً » ، الجواب الكافى عن جميع المشاكل والرد المقنع على سائر الأزمات .

وقد اتفق مع الديك الصياح على أن يوقظه فى بكرة الصباح

قبل موعد الصحو بثلاثة أرباع الساعة ، بدلا من النصف . وقد يذهب فى أوقات فراغه ، على ندرتها فى تلك الأيام ، إلى « المقلع » وحده فيجمع حملا من الحجارة المكسرة وينقله إلى موقع الطاحون بغير عون ولا نصير .

وكانت حال القوم خلال الصيف كله لا بأس منها ، على فرط الجهد الذى بذلوه ، والعناء الذى قاسوه ، وإذا لم يكن الطعام يومئذ أوفر مما كان يأتيهم على عهد جونز وطغيانه ، فلم يكن على الأقل دونه مقادير ، وكانت المتعة التى يحسونها فى قيامهم على طعامهم ، وكفالة غذائهم ، والاستغناء عن تغذية أولئك الاستغلاليين من البشر والمستثمرين وإشباع بطونهم ، خير عزاء لهم عن فشل يمنون به ، وأحسن سلوة عن متاعب متعددة يقاسونها ، بل كانت طريقتهم فى العمل أدق من قبل وأبلغ كفاية وأكثر اقتصاداً فى الجهد والكدح ، فإن تنقية الأعشاب والحشائش الخبيثة من الحقول كانت أحسن وأفضل من وسائل الإنسان فيه وأساليبه ، ولم يعد للسرقات أثر فى هذا النظام « الحيوانى » الجديد ، فلم تبق إذن حاجة بالقوم إلى التسوير على المراعى ، وإحاطة الحقول بالحواجز والسياج وهو اقتصاد آخر فى الجهد الذى كان جائزاً أن يبذل فى صيانة البوابات والحيطان .

ولكن ما كاد الصيف يوغل فى مسيره ، حتى ظهرت أزمات لم تكن فى الحسبان .

فقد أعوز القوم الزيت والمسامير والبقسماط المطلوب للكلاب والدوبارة والحبال والحديد لحدو الخيل ، ولم يكن شىء منها متوافراً فى الضيعة أو فى الإمكان إنتاجه .

ومست القوم بعدئذ الحاجة إلى البذور والسماد الصناعى ومختلف العدد والآلات .

وأخيراً احتاجوا إلى عدد وأجهزة متعددة لمطالب الطاحون .

ولم يكن أحد منهم يتصور كيف السبيل إلى الظفر بهذه الأشياء .

وفى ذات أحد حين احتشد الحيوانات ، لتلقى الأوامر والتعليمات ، أعلنهم نابوليون أنه قد وضع سياسة جديدة وهى أن المزرعة من الآن سترتبط مع المزارع المجاورة بعلاقات تجارية ، لا ترمى طبعاً إلى التعامل والأخذ والعطاء بل كل الغرض منها هو الحصول على الحاجات الضرورية التى لا غناء لهم عنها .

ومضى يقول إن احتياجات الطاحون يجب أن تتقدم كل ما عداها ، وإنه لهذا السبب اتخذ التدابير لبيع أحمال من التبن وجزء من محصول الحنطة ، وإنه معتزم فيما بعد إذا احتاج الأمر

إلى المال بيع البيض ، ولا سيما أن له سوقاً رائجة فى مزرعة « ويلنجدون » .

وقال إنه يعتقد أن الدجاج سيرحب بهذه التضحية لأنها الاكتتاب الأوحد الذى يتيسر له المساهمة به فى سبيل تنفيذ مشروع « الطاحون » .

ولبث الحيوانات بعد سماعهم هذه القرارات والبيانات الجديدة فى أماكنهم قلقين لا يدركون منها شيئاً ، فقد كان حظر التعامل مع الأعداء ، أو الارتباط بالتجارة أو استثمار الأموال ، موضوع قرارات سابقة اتخذت فى ذلك الاجتماع « التاريخى » الذى انعقد بعد طرد العتاة المستثمرين .

فما الذى جرى ، وما سر هذا التحول الغريب . . . ؟؟

لقد تذكر الحيوانات جميعاً تلك القرارات أو على الأقل ظنوا أنهم ذاكروها .

وعندئذ بدأ الحلاليف الأربعة الشباب الذين حاولوا من قبل الاحتجاج حين ألغى نابوليون المناقشات ، وأبطل الاجتماعات. وحلقات الدراسة والبحث ، يرفعون عقائرهم فى خوف وإشفاق ، ولكنهم لم يلبثوا أن أمسكوا رعباً من همهمة الكلاب الضارية .

وإذا بالأغنام كدأبهم ينطلقون فى رغائهم مكررين نشيدهم

المحبب إليهم ، وهو قولهم « كل ذوات الأربع أخيار . . . » ، فلم يلبث الحرج الذى كان محيطاً بالاجتماع أن خفت حدته .

وأخيراً رفع نابوليون إحدى قدميه الأماميتين مشيراً بالسكوت وأنشأ يقول إنه قد انتهى من اتخاذ جميع التدابير الضرورية ، فلا حاجة بأى حيوان منهم إلى الاتصال بالتجار والممولين ، لأن ذلك أمر غير مرغوب فيه بلا شك ، وإنه هو الذى سيتولى ذلك كله بنفسه ، وقد اتفق فعلا مع مقاول يدعى « ويمبر » يقيم فى ضيعة «ويلنجدون » على أن يشتغل « وسيطاً » بين المزرعة والعالم الخارجى ، وإنه سيزورهم كل يوم اثنين من الأسبوع ليتلقى التعليمات .

وختم نابوليون بيانه بتحية المزرعة وأهلها .

وأنشد القوم النشيد الوطنى .

وانصرفوا متفرقين .

وطاف سكويلر بهم بعد ذلك لتهدئة خواطرهم ، فمضى يؤكد لهم أن القرار المتعلق بحظر إنشاء علاقات تجارية مع الخارج واستخدام المال فى التعامل لم يتخذ فى يوم من الأيام ، ولا اقترحه أحد ، أو خطر مرة بالبال ، بل هو محض خيال أو مجرد وهم ، لعله أثر من الأكاذيب التى دأب «سنو بول» على ترويجها .

ولكن فريقاً من القوم ظلوا فى شك مما يقول مريب .

فعاد سكوبلر يسائلهم قائلا فى خبث ومكر : هل أنتم متأكدون أيها الرفاق أن هذا الذى علق بأذهانكم ليس شيئاً تراءى لكم فى الأحلام . . ؟ ؟ وهل لديكم سجل محفوظ دونتم فيه تلك القرارات ؟ ؟

ولم يكن لشىء من هذا أو نحوه أثر ، فلا غرو إذا اقتنع الحيوانات أنهم كانوا إذن واهمين .

وجعل « ويمبر » الوسيط يزور المزرعة فى كل يوم « اثنين » طبقاً لما اتفق عليه .

وكان ويمبر رجلا ماكراً يبدو الخبث فى وجهه ، وهو مقاول أو سمسار صغير ، ولكنه أدرك فى الحال أن المزرعة أحوج ما تكون إلى رجل مثله يعرف كيف يثرى من ورائها ويظفر بكسب وفير من طريق « العمولة أو السمسرة » على مختلف الصفقات .

ولبث القوم يرقبون روحات هذا الرجل وغدواته فى شىء من الرعب ، وكانوا يتحاشونه قدر الإمكان .

ولكن مشهد نابوليون وهو يدب على أربع ، ويلقى الأوامر إلى « ويمبر » القائم على ساقين اثنتين ، ما لبث أن أثار كبرياءهم

ووجدوا فى العزة والزهو بعض العزاء عن هذا التدبير الجديد .

فقد أصبحت علاقاتهم بالبشر غير ما كانت عليه بالأمس الدابر ، والماضى الممقوت .

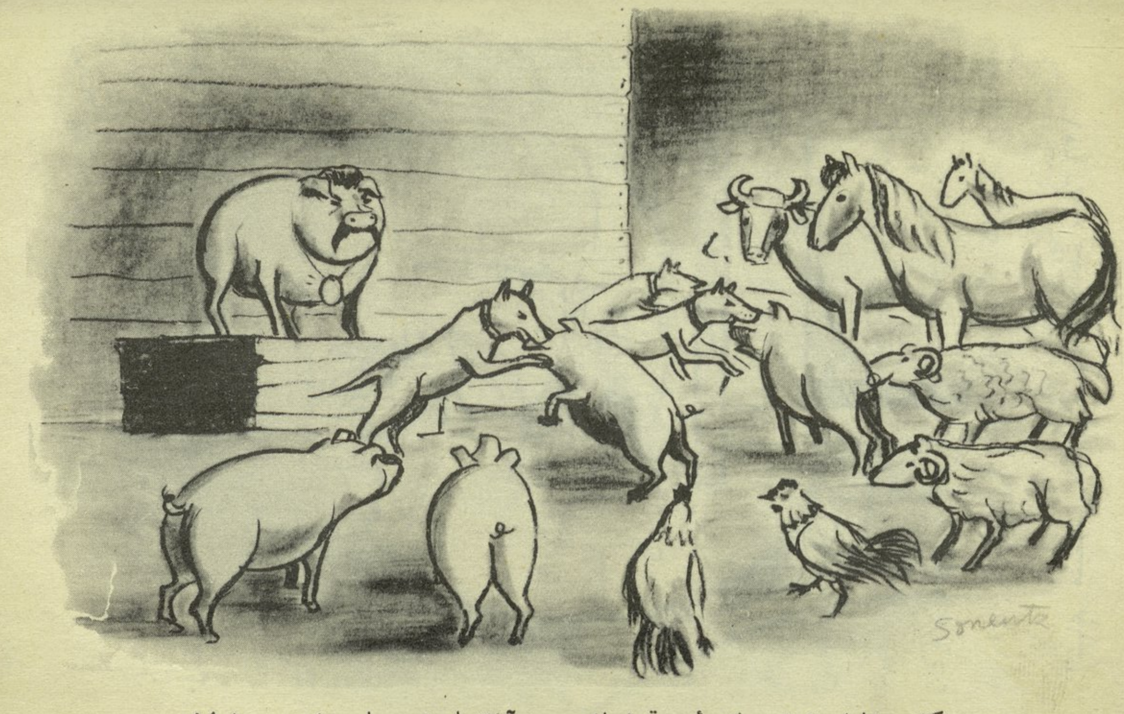
أما البشر فقد ازدادوا لمزرعة الحيوانات كرهاً بعد أن رأوها فى رغد ، وتبينوا ما عراها من إصلاح وتحسين .

وما لبث كل إنسان أن آمن الإيمان كله بوجوب تدمير هذا النظام المصنوع والعمل على إحباطه بكل سبيل .

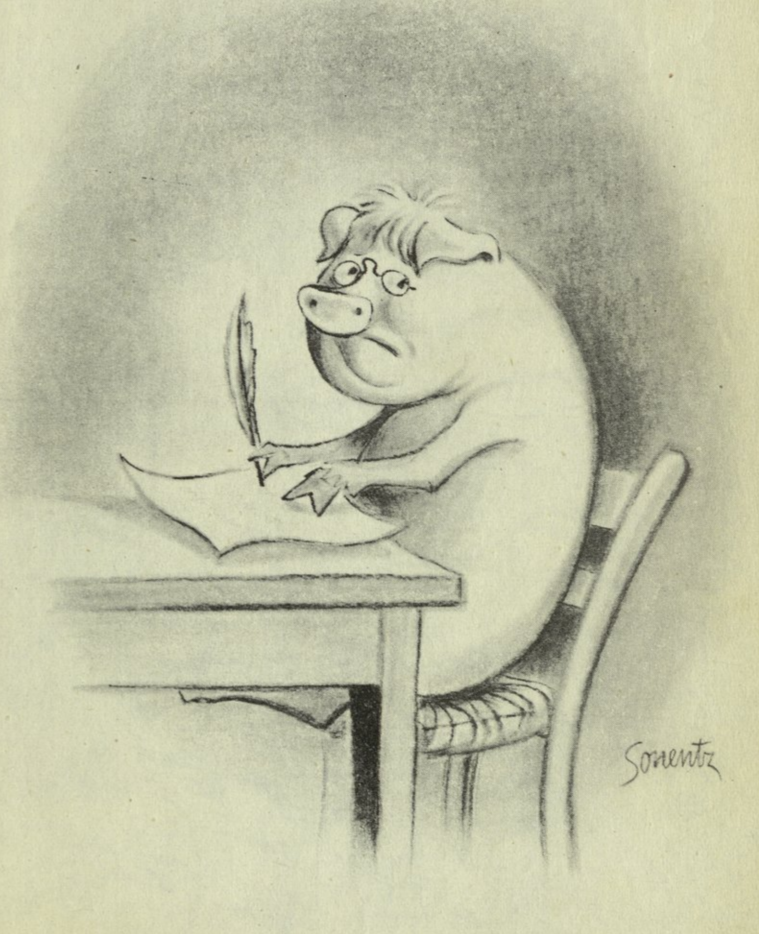
وكان الناس يجتمعون فى المشارب ليتحدثوا فى شأن هذه المبادئ الطارئة ، ويتبادلوا الرأى فى أى الوسائل أفعل وأجدى فى منع بناء الطاحون ، أو تقويض بنيانه إذا تيسر للحيوانات إنشاؤه ، وإن ظل فريق منهم على الرغم منهم معجبين بظاهر ذلك النظام أو مختلبى الألباب بغشائه الخداع ، وطلائه البراق.

وكان من أعراض هذا التأثر الذى طرأ عليهم أنهم مضوا يطلقون على النظام اسمه الجديد ، ويسمون المزرعة تسمية أهلها لها ، وانثنوا عن دعوتها « مزرعة الذوات » كما كانت من قبل تدعى وسط المزارع والضياع .

وبدأوا كذلك يتخلون عن مناصرة السيد « جونز » وكان هذا قد ودع كل أمل فى استرداد مزرعته ، وذهب يلتمس



« كلاب نابليون تمسك بأربعة خنازير من آذانها وتجرها جرا » ص ١١٨



« الشاعر منيموس ينظم الانشودة الجديدة » ص ١٢٦

العيش فى بلد بعيد .

ولم يبق من صلة بين المزرعة والعالم الخارجى إلا صلة « ويمبر » السمسار ، وإن راجت الإشاعات بأن نابوليون يوشك أن يعقد اتفاقاً تجارياً كبيراً بينه وبين المستر بلكنجتون صاحب مزرعة « فوكسوود » أو المستر فردريك صاحب مزرعة بتشفيلد ولكنه لا يريد أن يتفق معهما فى وقت واحد .

وفى تلك الأيام انتقل معاشر الخنازير فجأة إلى الإقامة فى الدار واتخذوها لهم مسكناً .

وتذكر القوم أنهم قرروا فى الأيام الأولى من قيام نظامهم الجديد منع الإقامة فى الدور والسكنى فى القصور ولكن « سكويلر » عاد فى أحاديثه الخاصة يقنعهم بأن الأمر ليس كذلك وأنهم بلا شك واهمون .

ومضى يقول إنه لا غناء مطلقاً لمعاشر الخنازير ، وهم العقل المدبر ، والقريحة المفكرة ، فى المزرعة ، عن مكان هادئ يخلون فيه إلى أفكارهم ، ويعكفون فيه على بحوثهم ودراساتهم ، وإن ذلك أيضاً أكرم وأنسب لمكان « الزعامة » فيهم ، وكان قد درج فى تلك الأيام على تسمية « نابوليون » بالزعيم ، وإضفاء أبدع الكنى والألقاب عليه .

ولكن فريقاً من الحيوانات ساورهم القلق البالغ حين سمعوا أن الخنازير لم يكتفوا بتناول وجباتهم فى المطبخ ، واتخاذ قاعة الجلوس نادياً لهم وندوة رياضية ، بل مضوا ينامون على السرر .

واتفق أن مر « سكويلر » بهما فى تلك اللحظة يحرسه كلبان أو ثلاثة من تلك الكلاب « المعهودة » فلم يلبث أن شرح لهما الأمر وأقنعهما بقوة عارضته ، وبلاغة مغالطاته .

قال : لقد سمعتما إذن أيها الرفيقان أننا معاشر الخنازير أصبحنا ننام فى سرر الدار وأرائكها ، ولم لا يا صاحبى ، ألم يخطر يوماً ببالكما أن المنع لم يحدث مطلقاً ، إن السرير أيها الرفيقان هو موضع للنوم ، أو مرقد ، أو منامة ، فالكومة من القش فى المربط فراش أو سرير أو مضجع سواء بسواء ، وإنما كان المنع منصبا على «الأغطية » التى امتاز بالتمتع بها خصومنا وأعداؤنا الألداء ، وقد خلعناها نحن ورفعناها من المضاجع ، واقتصرنا على النوم فى وسط « البطاطين» وإنها لمراقد مريحة والله ووثيرة ، ولكنها ليست فخمة كما يجب لمعاشر ذوى العقول المفكرة والقرائح المبتدعة ، أفتريدون أن تضنوا علينا بشىء من الراحة ، أم تودون ألا نجد من الترفيه ما يعيننا على العمل ، ويحفزنا إلى تأدية المهام الجسام الملقاة علينا ، فلا يلبث خصومنا

أن يعودوا أدراجهم ويستردوا فى المجتمع المكان الذى فقدوه . .

فلم يكن من الفرس والجدى إلا أن أكدا له أنهما لا يبغيان من ذلك شيئاً . . .

وأما « بوكسر » فجعل كدأبه يقول : « نابوليون على حق دائماً . . . ! »

ولكن الفرس كلوفر ، ظنت أنها لا تزال تذكر حظراً معيناً صدر ضد النوم فى السرر ، فذهبت إلى الطرف الأقصى من « الجرن » لتحاول مراجعة « الوصايا السبع » المخطوطة على اللوح القائم فوق الجدار .

ولكنها تبينت عجزها عن قراءتها ، فذهبت تلتمس الجدى الأبيض « موربيل » .

قالت : يا موربيل ، هلا قرأت لى الوصية الرابعة أليست تقول بمنع النوم فى السرر ؟

فوقف موربيل يتهجى فى مشقة .

وأخيراً استطاع أن يتبين الألفاظ ، فانثنى يجيب قائلا : « نعم . إنها تقول لا يجوز النوم فى فراش ذى أغطية » .

يا عجباً . . . !

لقد كانت كلوفر واثقة أن الوصية الرابعة لم تشر مطلقاً إلى

الملاءات والأغطية .

ولكن ما دامت هذه العبارة مدونة على الجدار ، فلا بد من أن يكون الأمر كذلك .

ومن ذلك اليوم لم ينبر أحد من القوم للحديث عن نوم الخنازير فى السرر ، ولم يعد إلى اللوم والتبرم والعتاب .

وحين أذيع بعد أيام أن الخنازير سينهضون من النوم متأخرين ساعة عن الموعد الذى يصحو فيه الحيوانات عامة ، لم يرتفع فى المزرعة صوت بشكاة أو احتجاج .

وما إن حل الخريف حتى كان القوم فى كد واصب ، وإن نعموا بحالهم ، وسعدوا بالثمرات التى آتاها تعبهم المتواصل فى الصيف والوفاء بمطالبه .

لقد كان ذلك العام قاسياً كدحوا فيه كدحاً .

وبعد بيع جزء من التبن والقمح لم يبق فى المخازن غير قدر يسير ، ولكن الطاحون كان خير عوض عما أعوزهم ، وأحسن عزاء ، فقد كاد نصف العمل فى بنائه ينتهى ، وهم على استكماله عاكفون .

وكان « بوكسر » يخرج فى بعض الليالى فيقضى فى العمل وحده ساعة أو ساعتين على ضياء القمر .

وألف القوم فى أوقات فراغهم أن يطوفوا بالطاحون جماعات للإعجاب بمتانة الجدران القائمة والعجب من أنفسهم كيف تواتى لهم بناء شىء باذخ على هذا النحو البديع .

ولبث الحمار « بنيامين » فاتراً لا يبدى حماسة ولا عجباً ، وإن ظل يردد قوله المأثور : « إن معاشر الحمير طوال الآجال » .

وجاء شهر نوفمبر بعواتى رياحه وعواصفه وأمطاره الغزار ، فاضطر القوم إلى وقف العمل فى الطاحون ، لاستحالة خلط « المونة » ومزج « الأسمنت » .

وفى ذات ليلة هبت عاصفة هوجاء جعلت أبنية المزرعة تهتز من القواعد ، وأطاحت بالآجر والقوالب التى كانت تكسو الأسطحة .

واستيقظ الدجاج من الرعب وجعل يرسل صياحاً مستطيلا ، وهم قائلون إنهم رأوا فى المنام بندقية تطلق من مكان بعيد .

وخرج الحيوانات فى الصبح من مرابطهم فوجدوا سارية العلم محطومة ورأوا شجرة دردار مقتلعة من جذورها كما يقتلع الفجل .

وما كادوا يلمون بموضع الطاحون ، حتى انطلقت الصيحات المدوية من الحناجر والحلوق .

لقد أخذ أعينهم مشهد رهيب .

فقد بدا لهم الطاحون أنقاضاً متداعية ، وخراباً يباباً . . .

وجاء الذين لم يكونوا حاضرين يهرعون ، حتى نابوليون ذاته ، الذى قلما كان يجنح إلى الوثب ، ويقصر مشيه على الخطو ، أقبل يعدو فى الطليعة إلى ذلك المنظر الأليم .

ها هو ذا جهد الشهور الطوال قد سوى بالتراب ، وتداعى البنيان من قواعده . . .

وها هى ذى الأحجار التى ظلوا الأيام تلو الأيام يحملونها من « المقلع » وينقض نقلها منهم الظهور ، متناثرة فى كل ناحية . . .

وعقد المشهد ألسنتهم فوقفوا ينظرون إلى الأنقاض المتراكمة واجمين محزونين .

وجعل « نابوليون » يروح ويغدو فى صمت ، وإن مضى بين لحظة وأخرى يستاف الأرض بخرطومه ، وقد تخشب ذنبه واهتز وترنح ، وبدا فى تفكير عميق .

ولم يلبث فجأة أن وقف عن الحركة كأنما قد استقر على رأى ، وهداه التفكير إلى خاطر جديد .

وأنشأ يقول بهدوء ، هل تعرفون أيها الرفاق من المسئول . . ؟

وهل تعلمون من هو العدو الذى انسل فى الليل فهدم طاحونكم ؟

وعندئذ ارتفع صوته قاصفاً كالرعد ، واسترسل يقول: هو سنوبول . . . سنوبول هو الذى فعل هذا . . . فقد ظن هذا الخائن أنه قادر بخبثه المركب فيه ، وحب الشر المستمكن منه ، على أن يثأر لنفسه بعد أن طرد شر طردة ، وأخرج من هذه الديار خرجة السوء ، فتسلل تحت جنح الليل ليفسد عليكم ماأقمتموه ، ويحطم ماشيدتموه ، ويهدم ماقضيتم قرابة عام فى بنائه .

أيها الرفاق ، إننى هنا أعلن على رءوس الأشهاد الحكم على سنوبول بالموت ، فلمن يقدمه إلى العدالة وسام البطولة من الطبقة الثانية وحمل بعير من التفاح ، وضعف ذلك لمن يأتى به حياً . . . !

ولشد ماريع الحيوانات وبهتوا حين علموا أن سنوبول هو الجانى الأثيم .

وارتفعت صيحات الغضب والحنق من كل جانب .

وأخذ كل منهم يفكر فى الوسائل التى قد تيسر له القبض عليه لو سولت له النفس الرجوع .

وفى تلك اللحظة عثر القوم على آثار أقدام خنزير على مسافة من الربوة العالية .

وتبعوا هذه الآثار ، بضعة أمتار ، ولكن بدا لهم أنها انتهت عند نقب فى السياج .

وجاء نابوليون فاستاف الأثر بخياشيمه مليًّا وقال إنها آثار أقدام سنوبول من غير شك ، وإنه فى الغالب جاء من طريق مزرعة فوكسوود المجاورة .

ودار بعينه إلى القوم فصاح فيهم قائلا : أيها الرفاق لا إرجاء بعد اليوم ولا تأخير ، فإن أمامنا عملا لا مفر من إنجازه ، ولنشرع من الساعة فى إعادة بناء الطاحون ولنقض فيه الشتاء كله ، إن جاء مطيراً ، أو أتى صحواً مشمساً ، لكى نبين لذلك الخائن المهين أنه ليس على إفساد أمرنا بقادر .

وتذكروا أيها الرفاق أنه يجب أن لا يقع تغيير ما فى خططنا بل ينبغى أن نترسمها بدقة ، ونتبع تصميمها بكل اهتمام .

هلموا إلى العمل أيها الرفاق .

« وليحى الطاحون ، ولتحى مزرعة الحيوان . . . .

— ٧ —

وكان الشتاء شديداً مريراً .

فقد تبع عواصفه سقوط ثلوج وتراكم جليد .

وجاء بعد الجليد صقيع لبث يشتد إلى شهر فبراير .

ودأب الحيوانات على العمل قدر جهدهم ، مدركين أن العالم الخارجى ينظر إليهم ، وأن خصومهم فيه سوف يفرحون ويشمتون إذا لم يستكملوا الطاحون فى الموعد المضروب .

وقد تظاهر الناس فى البلاد المجاورة ، حقداً منهم وغلا ، بأنهم لا يعتقدون أن « سنوبول » هو الذى دمر الطاحون ومضوا يقولون إنه تداعى لأن الجدران لم تكن قوية سميكة .

ولكن الحيوانات كانت تعلم عن يقين أن الأمر لم يكن كذلك وإن قررت أن تجعلها أكثف فى هذه المرة وأسمك .

وكان ذلك يقتضى طبعاً جمع حجارة أكثر ، وحشد جهد أشق وأوفر .

ولكن المقلع ظل فترة طويلة من الزمن مغطى بركام من الجليد فلم يستطيعوا عملا ، ولم يتوات لهم جهد .

ولما حل الصقيع ، وجف الجليد ، أقبلوا يعملون ولكنه كان عملا شاقاً لا يبعث الأمل ، ولا يغرى بالمواصلة ، ولا يحفز إلى مضاعفة النضال .

واصطلح البرد والجوع عليهم ، ففترت منهم الهمم قليلا . .

ولكن بوكسر وكلوفر لم ييأسا ، ولم يعاجلهما قنوط .

وطفق « سكويلر » يلقى خطباً بليغة فى فرحة العمل ، وكرامة الدأب ، وشرف النضال .

ولكن معاشر الحيوانات لم تتأثر بتلك الخطب العوالى قدر ما تأثرت بما رأت من همة الحصان « بوكسر » وعزماته ، وترداد كلمته المأثورة « سأضاعف الجهد » . . . !

وكان الطعام قد شح فى شهر يناير ، فأنقصت الجراية اليومية من القمح ، وأعلن أن قدراً إضافياً من البطاطس سيصرف تعويضاً عن ذلك النقص .

ولكن تبين أن الجزء الأكبر من محصول البطاطس فسد فى المخازن ، من أثر الجليد ، ولم يبق منه صالحاً للأكل غير نزر يسير .

وقضى الحيوانات أياماً لا يطعمون غير التبن والنخالة .

وبدا كأن المجاعة توشك أن تعضهم بأنيابها الحداد .

وكان لزاماً عليهم بلا شك أن يخفوا هذه الحقيقة عن العالم الخارجى ، ولكن الناس لم يلبثوا أن وجدوا فى الدمار الذى وقع للطاحون حافزاً يشجعهم على اختراع الأكاذيب ومختلف الروايات ، عن مزرعة الحيوانات .

فقيل إنهم أصبحوا نهب المجاعات والأمراض ، وإنهم اختلفوا فيما بينهم ، وانقسموا على أنفسهم ، ولجأوا إلى أكل اللحوم البشرية ، وقتل الأطفال .

وأدرك نابوليون سوء العقبى إذا عرف الناس فى الخارج حقيقة الأزمة الغذائية فى المزرعة فصحت منه النية على استخدام السمسار « ويمبر » فى نشر روايات مناقضة لما كان يشاع .

ولم يكن أحد من القوم قد اتصل إلى اليوم بهذا السمسار فى زوراته الأسبوعية ، ولكن بعضهم ، ومنهم الغنم خاصة ، تلقوا تعليمات من « الزعامة » بأن يقولوا على مسمع منه إن الأغذية وفيرة ، وإن الجراية قد زيدت عما كانت من قبل .

وأمر نابوليون أيضاً بأن تملأ الأحواض الخالية فى السقيفة إلى قرابة حفافيها رملا ثم تغطى بطبقة من بقايا الحبوب والغلال .

وسيق السمسار ويمبر لعذر مقبول ، وسبب ظاهر الوجاهة إلى السقيفة فى يوم من الأيام ، ليشهد الحيضان ملأى بالخير .

فانخدع الرجل ومضى يروى للعالم الخارجى ما رأى بعينى رأسه ، ويكذب ما كان يقال عن الأزمة الغذائية فى المزرعة .

ولكن قبيل انتهاء شهر يناير تبين أنه لم يعد ثمة مفر من الحصول على مقادير من الحبوب من الخارج .

وكان نابوليون فى تلك الأيام قليل الظهور فى المجامع ، يقضى أكثر وقته فى « الدار » ويقيم من حولها ، وعلى أبوابها المتفرقة ، حرساً شديداً من الكلاب الضارية .

وإذا خرج يوماً ، أقبل فى موكب فخم ، تحرسه ستة كلاب ضخمة ، تهمهم وتزمجر إذا اقترب أحد منه .

وكثيراً ما كان يحتجب عن القوم فى أيام الآحاد ، فلا يخرج إلى الاجتماع العام ، بل يصدر الأوامر من طريق أحد الخنازير ، والغالب أن يكون « سكويلر » الخطيب المفوه ، والمنطيق الكبير .

وفى ذات أحد أذاع « سكويلر » أن الدجاجات التى توشك أن ترقد على بيضها ، يجب أن تمتنع عن الرقاد لعرض البيض للبيع ، فقد تعاقد نابوليون عن يد السمسار « ويمبر » على توريد أربعمائة بيضة فى الأسبوع لكى يتيسر بالثمن شراء حبوب وأغذية تكفى حاجة المزرعة إلى مقتبل الصيف ، وتحسن الأحوال .

فلما سمعت الدجاجات ذلك أرسلت صيحة بالغة وكانت من قبل قد أنذرت بأنها قد تطالب بهذه التضحية ولكنها لم تكن تعتقد أنها آتية فعلا ، وكانت قد أعدت العدة لرقدة الربيع ، فلا غرو إذا احتجت اليوم بأن انتزاع البيض منها جناية منكرة بل جريمة قتل .

ولأول مرة بعد طرد سنوبول كادت تقوم « الثورة » .

فقد حاولت الدجاجات بزعامة كبيرات ثلاث منهن ، إحباط خطة نابوليون وإفساد الأمر عليه .

وكانت وسيلتهن أن يطرن فوق « التقفيصات » فيبضن عليها وعندئذ يسقط البيض إلى الأرض فيتهشم جميعاً وينكسر .

ولكن نابوليون بادر إلى الحيطة ، فى غير رحمة ولا رفق ، فأمر بوقف صرف الأغذية لهن ، وقضى بالموت على كل حيوان يمد إحداهن بقليل من حب ، أو نزر من غذاء .

وطلب إلى الكلاب أن تلاحظ تنفيذ الأمر ، وتشرف على تطبيقه .

وانقضت خمسة أيام والدجاجات صامدات على مسغبة ، ولكنهن فى النهاية سلمن صاغرات .

وذهبن إلى « الأخنان » ليضعن بيضهن .

وكانت النافقات منهن فى هذه المحاولة الفاشلة تسع دجاجات. فدفنت جثثهن فى البستان .

وقيل إن وفاتهن كانت بسبب « الفرة » أو . . . الوباء .

ولم يسمع « ويمبر » بما جرى ، بل جاء فتسلم البيض بانتظام وكانت عجلة « بدال » تأتى مرة فى الأسبوع لتحمله .

وقع ذلك كله ولم يسمع أحد بسنوبول أو يشهده وإن قيل إنه مختف فى إحدى المزرعتين المجاورتين .

وكان نابوليون فى هذه الأيام قد استطاع توثيق صلاته بالزراع القريبين وتعزيز روابطه .

وكان قد اجتمع لديه فى المزرعة قدر كبير من الأخشاب لبث فى مكانه عشرة أعوام عقب إزالة بعض الأدغال على حاشية القرية .

وكان الخشب صالحاً للبيع ، فنصح ويمبر لنابوليون أن يتصرف فيه .

وكان كل من المستر بلكنجتون والمستر فردريك راغباً فى شرائه. فظل نابوليون بينهما متردداً لا يدرى لأيهما يصح أن يبيع .

وتبين أنه كلما أوشك أن يتفق مع « فردريك » ، قيل إن سنوبول مختف فى قريته ، وكلما هم بأن يبيع الخشب

لبلكنجتون جاء الرواة يقولون إن سنوبول مختبئ فى مزرعته .

وما إن أقبل الربيع حتى عرف القوم فجأة أمراً يقلق البال ، ويزعج الخاطر ، وهو أن « سنوبول » جعل يغشى المزرعة خلسة ، ويكثر من التسلل إليها تحت جنح الظلام .

وقد اشتد القلق بالحيوانات فلم يهنأها النوم فى المرابط .

وقيل إنه كان فى كل ليلة إذا أرخى الظلام سدوله ينسل إلى المزرعة ويحدث مختلف ضروب الأذى ، كأن يسرق القمح أو يقلب جرار اللبن ، أو يكسر البيض ، أو يتلف البذور ، ويقرض لحاء شجر الفاكهة .

وأصبح القول السائر كلما وجد القوم أثراً لتلف ، أو أمارة سوء ، أنه من فعل سنوبول وأذاه .

فإذا شوهدت نافذة مكسورة ، أو مصرف مسدود ، قال قائلهم لقد انسل سنوبول تحت جناح الليل فأحدث ذلك وتعمده .

ويوم ضاع مفتاح المخزن القائم تحت السقيفة ، لم يبق فى المزرعة أحد إلا ذهب يقول إن سنوبول هو الذى ألقاه فى غيابة البئر .

وأعجب من ذلك أنهم ظلوا معتقدين ذلك حتى بعد أن

اهتدوا إلى المفتاح تحت غرارة من التبن .

وأجمعت الأبقار على أنه تسلل إلى «المذاود» ليلا فاحتلب اللبن من ضروعهن وهن نيام .

وقيل أيضاً إن الجرذان مؤتمرون مع سنوبول ، لا لشيء سوى كثرة شقاوتهم وعيثهم فساداً فى ذلك الشتاء .

وقرر نابوليون وجوب إجراء تحقيق واف فى مسألة حركات سنوبول وتسللاته .

وخرج فى حرس من كلابه فطاف أرجاء المزرعة ومبانيها . وتبعته الحيوانات على مسافة احتراماً لمكانه .

وجعل يقف كلما سار بضع خطوات فيستاف الأرض بخياشيمه ، لعله مهتد إلى أثر سنوبول ومواطئ أقدامه ، قائلا إنه القدير على اقتفائها بحاسة الشم .

وكذلك وقف يشتم ويستاف فى كل ركن وزاوية ، الجرن ، والسقيفة ، والتقفيصة ، وغيط الخضر ، ويجد الأثر فى كل ناحية ، فيزعق زعقات رهيبة ، وهو يقول : لقد كان هنا ، إننى أجد ريحه لولا أن تفندونى . . .

وكانت الكلاب كلما نطق باسم سنوبول تهر هريراً مخيفاً وتكشر عن أنيابها .

واستولى الرعب على معاشر الحيوانات جميعاً ، وخيل إليها أن « سنوبول » قد عاد شبحاً غير منظور ، وسلطاناً خفياً لا تراه الأعين ، يسمم الهواء الذى ينشقون ، ويفسد عليهم الحياة التى يحيون ، ويهددهم بكل ضروب الخطر والأذى وهم لا يشعرون.

ولما حان المساء جمعهم « سكويلر » وتخذ سمات القلق ، واستهل حديثه بأن لديه أنباء خطيرة يريد أن يكاشفهم بها .

وأنشأ فى حماسة عصبية مصطنعة يقول : أيها الرفاق ! لقد انكشف لنا أمر خطير ، وظهر لنا ما لم نكن نعلم ، لقد باع « سنوبول » نفسه لفردريك رب مزرعة « بتشفيلد » الذى بدأ يأتمر بنا ، ويريد أن ينتزع المزرعة منا ، وقد اتفقا على أن يكون سنوبول مرشده حين يغير علينا ، ويغزو ديارنا ، بل شر من ذلك وأدهى ، أننا كنا نحسب تمرد سنوبول علينا ، وخروجه على إجماعنا ، إنما يرجع إلى غروره وجهالته ، ويعود إلى جشعه وطماعيته ، ولكنا كنا أيها الرفاق مخطئين ، فهل تعرفون ما هو السبب ، وهل تدرون ما الباعث ؟ لقد كان سنوبول متفقاً مع جونز من البداية ، وكان طيلة الوقت صنيعته ، وقد ثبت ذلك كله لدينا بالوثائق التى تركها وراءه ولم نعثر عليها إلا فى الأيام الأخيرة ، وأعتقد معاشر الرفاق أن ذلك

تأويل أحداث كثيرة ، وسر حركات عدة ، ألم تروا كيف كان يحاول أن تحق علينا الهزيمة فى معركة السقيفة لولا أن حالفنا التوفيق فخرجنا منها منتصرين . . . ؟

وسمع القوم هذا القول فبهتوا وبلبلوا بلبالا .

فقد بدت لهم هذه الفعلة المنسوبة لسنوبول سوءاً أشد وأنكى وظلوا واجمين حيارى عدة لحظات قبل أن يدركوا المراد من تدميره الطاحون .

فقد تذكروا ، أو خيل إليهم أنهم تذكروا ، كيف كان سنوبول ، المتصدى الأول للهجوم فى معركة السقيفة ، وكيف مضى يشجعهم ويحرضهم على القتال فى كل منعطف ، ويحمسهم للنضال عند كل ركن ، وكيف لم يقف عن الحركة والوثوب والكر والفر ، حتى بعد أن تلقى الرصاص فى ظهره ، ونزف الدم من جروحه .

وشق عليهم فى مبدأ الأمر أن يوفقوا بين هذا الذى صور لهم وبين القول بأنه كان صنيعة جونز وشريكه فى فعلته .

ولبث «بوكسر» نفسه حائراً مشدوهاً ، وهو الذى قلما يبحث فى الأمور ، أو يستريب بالمسائل ، فقد ظل مغمضاً عينيه يحاول جاهداً جمع شتات أفكاره .

وأنشأ بعد سكون طويل يقول : لا أعتقد ذلك فقد حارب سنوبول فى المعركة بشجاعة بالغة ، ورأيته بنفسى وهو يناضل ويكافح ، أو لم ننعم عليه عقب القتال بوسام البطولة الأكبر ؟

وعندئذ عاجله « سكويلر » قائلا : لقد كنا فى الإنعام عليه مخطئين أيها الرفيق ، وقد تبين لنا اليوم من الوثائق أنه كان يريد بذلك أن يسوق بنا إلى الهلكة ، ويقضى علينا القضاء الأخير .

قال : ولكنه خرج من الميدان جريحاً ، وقد رأينا جميعاً الدم وهو يقطر منه .

فصاح سكويلر به قائلا : لقد كان ذلك مدبراً ، وبعض الخدع التى لجأ إليها لإيهامنا وإغرائنا ، واعلم أن الرصاصة التى أصابته من كف جونز ، إنما كشطت منه الأديم ، ولم تحدث فيه جرحاً غائراً ، وفى إمكانى أن أبين لك ذلك فى الوثائق التى كتبها بخطه إن كنت على القراءة قديراً ، وكانت المؤامرة تقضى بأن يعطى سنوبول فى اللحظة الحرجة إشارة بالهرب وتخلية العدو من الميدان فيكون له النصر المبين ، وقد كاد ينجح ، بل دعونى أصارحكم معاشر الرفاق إنه كان بلا ريب الناجح الموفق لولا فضل زعيمنا البطل ، الرفيق نابوليون .

أفلا تذكرون كيف تولى جونز فى اللحظة التى استطاع العدو التسلل إلى الفناء متراجعاً فجأة لائذاً بأذيال الفرار وكيف تبعه فريق منكم ؟

وهلا ذكرتم أيضاً كيف وثب الرفيق نابوليون وثبته ، حين اشتد الفزع ، وتحرج الموقف ، وكاد الفشل يقع فى الصفوف ومضى يغيب أنيابه الحداد فى ساق جونز حتى أدماها ؟

وراح « سكويلر » يقفز من ها هنا وها هنا وهو يقول فى حماسة متقدة ، أجل ، إنكم لتذكرون ذلك كله أيها الرفاق ولا تزال صور ماثلة أمامكم . . . !

وخيل للحيوانات بعد هذا الوصف البارز الذى وصف « سكويلر » المشهد به أنهم حقاً ذاكروه ، وإن كان كل ما عاد فى تلك اللحظة إلى خواطرهم منه أن سنوبول تولى فى أحرج المواطن هارباً . .

ولكن « بوكسر » ظل متردداً قلقاً .

قال بعد صمت طويل : لا أعتقد أن سنوبول كان فى البداية خائناً ، أما ما جرى بعد ذلك فيختلف أمره ، ولكنى مؤمن بأنه كان رفيقاً صالحاً ، ومحارباً باسلا مكافحاً ، فى معركة السقيفة .

فعاد سكويلر يقول بصوت هادئ ، ولهجة أكيدة : إن زعيمنا الرفيق نابوليون قد أعلن صراحة أيها الرفاق بأن سنوبول كان صنيعة أعدائنا من البداية ، بل قبل الثورة بعهد طويل .

وعندئذ مضى بوكسر يقول : آه . هذا شيء آخر ، وإذا قال نابوليون ذلك ، فالقول ما قاله ، لأنه على حق دائماً .

فصاح به سكويلر وهو يتأمله بنظرة حادة : هذه هي الروح الصادقة للمواطن الحسن ، والرفيق الصالح .

وهم بأن يذهب ، ولكنه وقف ومضى يقول بحدة : إننى أريد أن أنصح لكل فرد منكم بأن يفتح عينيه ، ويأخذ حذره ، فإن بيننا فى هذه اللحظة بالذات صنائع لسنوبول ، وجواسيس وأرصاداً .

وانقضت على هذا الحادث أربعة أيام ، فدعا نابوليون القوم إلى الاجتماع فى أصل النهار ، ولما تكامل عقدهم ، خرج من الدار إليهم ، متقلداً وساميه الرفيعين وكان قد أنعم أخيراً على نفسه بوسامى البطولة من الطبقتين الأولى والثانية ، ومن حوله كلابه التسعة الضارية تتواثب ، وتتلاعب ، وترسل هريراً تسرى له فى النفوس هزة الوجل .

فلم يكد القوم يرونها ويسمعون همهمتها المخيفة حتى انزووا فى

صمت قابعين فى جلودهم ، متوقعين حدثاً رهيباً يوشك على الوقوع .

ووقف نابوليون ينظر إلى القوم عابساً متجهماً .

وهمس لكلابه همسة غريبة .

وإذا بها تقفز من أماكنها حوله ، وتمسك بأربعة خنازير من آذانها وتجرها جرًّا ، وهى تصيح صيحات رعب وألم ، حتى ألقت بها عند قدمى نابوليون .

وكانت آذان الخنازير تقطر دماً .

ولم تكد الكلاب تذوق طعم الدم حتى جُنَّت واشتدت ضراوتها .

وما كان أشد ذهلة القوم إذ رأوا ثلاثة منها ترتمى على الحصان « بوكسر » .

ولمحها هذا وهى قادمة نحوه فرفع حافره وضرب أحدها فجعله يرتفع فى الفضاء ويسقط مكانه تحت سنابكه .

وصرخ الكلب يطلب الغوث .

وفر الكلبان الآخران ذليلين يحبسان ذيليهما بين ساقيهما الخلفيتين .

ونظر بوكسر إلى نابوليون ليعرف منه هل ينبغى له أن يحطم الكلب بقوائمه أم يطلقه .

وتغيرت سحنة نابوليون وطلب إلى بوكسر محتداً أن يترك الكلب ، فلم يكن من الحصان إلا أن رفع حافره وخلى بينه . وانطلق الكلب يئن ويهر موجعاً .

وما لبثت الجلبة أن هدأت ، وبقيت الخنازير الأربعة فى أماكنها تترقب خائفة راعشة ، وقد بدت شاعرة بالذنب ذليلة مستسلمة .

وعندئذ طلب نابوليون إليها أن تعترف بجرمها .

وتبين أنها الخنازير ذاتها التى احتجت على نابوليون عند إلغاء الاجتماعات وإبطال المناقشات .

وأنشأت تعترف من فور ساعتها بأنها كانت متصلة سراً بسنوبول منذ طرد من المزرعة ، وأنها عاونته على تدمير الطاحون ، واتفقت معه على تسليم المزرعة للأعداء .

وأضافت قائلة : إن سنوبول حدثها بأنه كان صنيعة « جونز » من عدة سنين .

ولما أتمت الخنازير اعترافاتها ، وثبت الكلاب عليها فمزقت أعناقها شر ممزق .

وصاح نابوليون صيحة مرعبة وهو يقول هل من أحد آخر أتى جرماً ويريد أن يعترف ؟

وعندئذ خرجت الدجاجات الثلاث اللاتى تزعمن حركة العصيان احتجاجاً على بيع البيض ، متقدمة من الصفوف وقلن : إن سنوبول ظهر يوماً لهن فى المنام ، وحرضهن على عصيان أوامر نابوليون والانشقاق عليه .

ووثبت الكلاب مرة أخرى على هذه الدجاجات فخنقوهن خنقاً .

وأتت أوزة فاعترفت بأنها استرقت ست سنابل من القمح فى حصاد العام الماضى فأكلتها حين جن الليل بعيدة من الرقباء.

وتقدمت نعجة فاعترفت بأنها بالت فى البركة المخصصة للسقاية ومياه الشرب ، قائلة إن الذى حرضها على فعلتها هو « سنوبول » .

وجاءت نعجتان أخريان فقالتا إنهما قتلتا كبشاً عجوزاً كان من أنصار نابوليون وأوليائه المقربين .

ولم يلبث « الزعيم » أن أمر بهؤلاء جميعاً فذبحوا تذبيحاً .

واستمرت الاعترافات ،بعدئذ مليًّا ، وتلتها أحكام بالإعدام ونفذت على الأثر ، حتى اجتمعت عند قدميه أكداس من الجثث وتعالت ريح الدماء فى الفضاء فملأت منافسه ، وهو مشهد لم يقع مثله منذ طرد « سنوبول » .

ولما انتهى الاجتماع ، تسللت الحيوانات مروعة حزينة واجفة ، فلم يبق إلا الخنازير والكلاب فى الساحة ، لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . .

ولبث القوم حيارى لا يدرون أى الأمرين أشنع وأنكر ، خيانة الذين كانوا متآمرين مع سنوبول ، أم العقاب الرهيب الذى شهدوه بأعينهم .

وقد رأوا مشاهد دموية رهيبة فى الأيام الخالية ولكنها لم تكن كما بدا اليوم تذبيحاً وتقتيلا فيما بينها ، ومنذ خرج « جونز » من المزرعة لم يقتل حيوان حيواناً آخر ، بل لم يروا يوماً جرذاً مذبوحاً ، ولا هرة دامية .

ومضوا إلى الرابية حيث يقوم الطاحون الذى لم يكتمل بنيانه فاستلقوا جميعاً على الثرى متلازمين متلاصقين كأنما يطلبون من البرد دفئاً .

لقد رقدوا بجمعهم ، كلوفر وموريل وبنيامين والبقر والأغنام وأسراب الأوز وجماعة الدجاج ، خلا الهرة فقد اختفت فجأة قبل أن يدعو نابوليون القوم إلى الاجتماع .

ولبث الجمع صامتين لحظة ، لا ينبس أحد ببنت شفة ، ولا يتجمجم منهم مخلوق بكلمة .

وبقى بوكسر مستوياً على سوقه ، وهو قلق يغدو ويروح ضارباً جبينه بذيله الفاحم المستطيل ، ويبدى بين لحظة وأخرى حركة دهشة وعجب .

وانثنى بعد طول صمت يقول لست أفهم شيئاً ، وما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى حتى أرى ما رأيته اليوم فى المزرعة ، فلا بد من أن يكون السبب فينا ونحن لا ندرى ، أترانا ضللنا أو أخطأنا ، وما أحسب ثمة حلا لهذه المشكلة غير الإكباب على العمل والفناء فيه ، ومن الآن سأصحو فى الصبح قبل الآخرين بساعة أو تزيد .

وانطلق خبباً إلى المقلع .

واحتمل حملين ثقيلين من الحجارة ومضى يجرها إلى موضع الطاحون قبل أن يدخل الليل ، ويأوى إلى مربطه .

أما الآخرون فقد ظلوا متلازمين محيطين بكلوفر وهم فى صمت طويل .

وكانت الرابية تشرف على الأرض المترامية من حولها فرأوا المزرعة من جميع أطرافها والمراعى الممتدة إلى الطريق وحقول الزرع والحبوب ، وأجران القش والتبن ، والمغزل والبركة والترعة والأرض المحروثة ، وأسطحة المبانى ، وذوائب الدخان المتعالية من مداخنها .

وكان المساء رائقاً عليل الأنسام فى إبان الربيع وبواكيره .

وكانت أشعة الشمس أوان المغيب تترامى على السياج والحشائش الناضرة فتزيد مشهدها رونقاً ورواء .

فلم يلبث القوم أن شعروا أن المزرعة التى باتت مزرعتهم ، وأصبح كل شبر من أرضها ملكاً لهم ، لم تكن تلوح فى يوم من الأيام أبهى منها اليوم ولا أجمل مقاماً ، ولا أطيب منزلا .

ولم تكد « كلوفر » تطل على السفح حتى اغرورقت عيناها بالعبرات .

ولو أتيح لها التعبير عن خواطرها فى تلك الساعة لقالت إن هذا الذى جرى منذ قليل لم يكن الهدف المنشود حين تضافر القوم منذ سنين على طرد أعدائهم من الأرض وتطهير المزرعة من خصومهم ، وإن هذه المشاهد الدموية لم تكن ما تطلعوا إليه ، وعقدوا الآمال الكبار عليه ، فى تلك الليلة التاريخية التى خطبهم فيها الحلوف الأكبر وحضهم على الثورة .

وقد كانت « كلوفر » ترسم فى خاطرها للمستقبل أزهى الصور ، وتتخيل القوم قادمين على بناء مجتمع لا تهدده مجاعة ولا يلهبه سوط ، ولا ترتفع من فوق رأسه عصا . . مجتمع من الأنداد والنظراء ، كل فرد فيهم يعمل قدر طاقته ، ويحمى

فيه الأقوياء الضعفاء ، كما وقت هى الأوزات الصغيرات فى مزدحم الجمع يوم الخطبة الكبرى من سنابكها الحديدية .

ولكنها فى مكان تلك الحياة الباسمة الناعمة التى كانت ترتقبها وجدت ، ويا هول ما وجدت ، وجدت مجتمعاً أصبح كل فرد فيه لا يجرؤ على الكلام ، وباتت الكلاب الضارية فيه تحوم فى كل مكان ، ويشهد الجمع إخوة لهم يذبحون على أعينهم ذبحاً وتمزق جسومهم تمزيقاً .

تلك كانت الخواطر التى جالت فى نفس كلوفر ، فلم يدر فى خلدها لهفة على ثورة ، ولا رغبة فى عصيان ، وإنما ساءها أن تأتى النتائج مناقضة لما كان مأمولا ، ويضطرب العيش ، وكان ينتظر أن يكون محبباً مقبولا . .

إى والله ، ما لهذا الأمر جاهدوا فى سبيل بناء الطاحون ، وتعرضوا لرصاص بندقية جونز ونيرانها .

هذه هى الأفكار التى جالت فى صدرها ، وإن لم تجد التعبير الذى تستطيع به تصويرها .

وأخيراً انطلقت تنشد « يا معشر الحيوان » كأنما وجدت إنشاده بديلا من الكلمات التى أعوزتها .

وما إن رفعت بالنشيد صوتها حتى نضم إليها الحيوانات

الراقدة بجوارها .

وراح الجميع ينشدونه ثلاثاً ، بنغمات مؤثرة ، حزينة ، آسية ، لم ينشدوه بمثلها من قبل أبداً .

ولم يكد الإنشاد للمرة الثالثة ينتهى ، حتى ظهر سكويلر وفى إثره كلبان ، فدلف نحوهم وهو يلوح كمن يحمل أنباء خطيرة إليهم وأنشأ يقول إن الرفيق نابوليون أصدر أمراً بإبطال النشيد القومى « يا معشر الحيوان » ، فلا يجوز إنشاده بعد الآن.

وبهت القوم مما سمعوا .

وانثنى موربيل يقول : « ولماذا » ؟

فأجاب سكويلر بخشونة : لم تعد بنا حاجة إليه ، فقد كان هذا النشيد نشيد الثورة ، وقد انتهت الآن ، واستكملت أغراضها ، وكان إعدام الخونة اليوم الفصل الأخير من فصولها ، وقد انهزم أعداؤنا فى الداخل والخارج وقد كنا فى هذا النشيد نرجو أن نظفر بمجتمع أفضل ، وعيش أرغد ، وحياة مليئة بكل ما كنا نصبو إليه ، وها نحن أولاء قد أقمنا قواعده ، وأنشأنا صرحه ، فلا جدال اليوم فى أن هذا النشيد لم يعد مطلوباً.

وهم بعضهم بالاحتجاج ، لولا أن أمسكهم الخوف عنه ولكن الغنم فى تلك اللحظة انطلقت تترنم بلحنها المألوف ،

وهو : «كل ذوات الأربع أخيار ، وكل ذوات الاثنتين أشرار»
وظلت تردده طويلا حتى قضت به على الحوار الذى كان قائماً.

وهكذا لم يعد أحد يسمع النشيد القومى إطلاقاً .

وقد نظم الشاعر منيموس مكانه أنشودة مطلعها :

«يا مزرعة الحيوان ، حماك الله الخطوب والأحزان . . . »

فكانت هذه الأنشودة تغنى صباح الأحد بعد رفع العلم فوق السارية .

ولكن الكلمات ذاتها ، واللحن عينه ، لم ترق القوم قدر ما كان النشيد القديم يروقهم . . ولم يهز منهم الجوانح كما كان يهزها بنغمه البديع . . .

— ٨ —

وانقضت أيام على مشاهد الإعدام التى جرت فى الساحة العامة ، وزال الخوف الذى كان يساور الحيوانات ، فتذكر بعضهم ، أو خيل إليهم أنهم تذكروا ، أن الوصية السادسة « تنهى عن قتل الحيوان أخاه الحيوان » .

ولم يشأ أحد منهم أن يذكر ذلك على مسمع من الخنازير ولا الكلاب ، ولكنهم جميعاً شعروا بأن المذابح التى جرت لا تتفق والوصية السادسة .

وأقبلت كلوفر على « بنيامين » تطلب إليه أن يقرأ لها النص ولكنه أبى كعادته أن يتدخل فى هذه الشئون أو أمثالها ، فذهبت تلتمس موريل لتستعين به .

وقرأ موريل النص لها ، وإذا هو « لا يجوز لحيوان أن يقتل حيواناً بغير الحق » .

وبدا لهما أن الكلمتين الأخيرتين جديدتان على سمعهما ، وأنهما لا يستطيعان أن يتذكراها أو يتمثلاها واردتين فى النص ، ولكنهما تبينا الآن أن الوصية السابعة لم تخالف ولم تنتهك ،

لأنه لا بد من أن يكون ثمة أسباب صحيحة لقتل الخونة الذين تآمروا مع سنوبول .

وكدح الحيوانات فى ذلك العام أشـد مما كدحوا فى العام الفائت ، فقد كان مطلوباً منهم إعادة بناء الطاحون ، وجعل جدرانه ضعفى كثافته الأولى ، والفراغ منه فى الموعد المقرر ، إلى جانب أعمالهم اليومية المألوفة فى المزرعة .

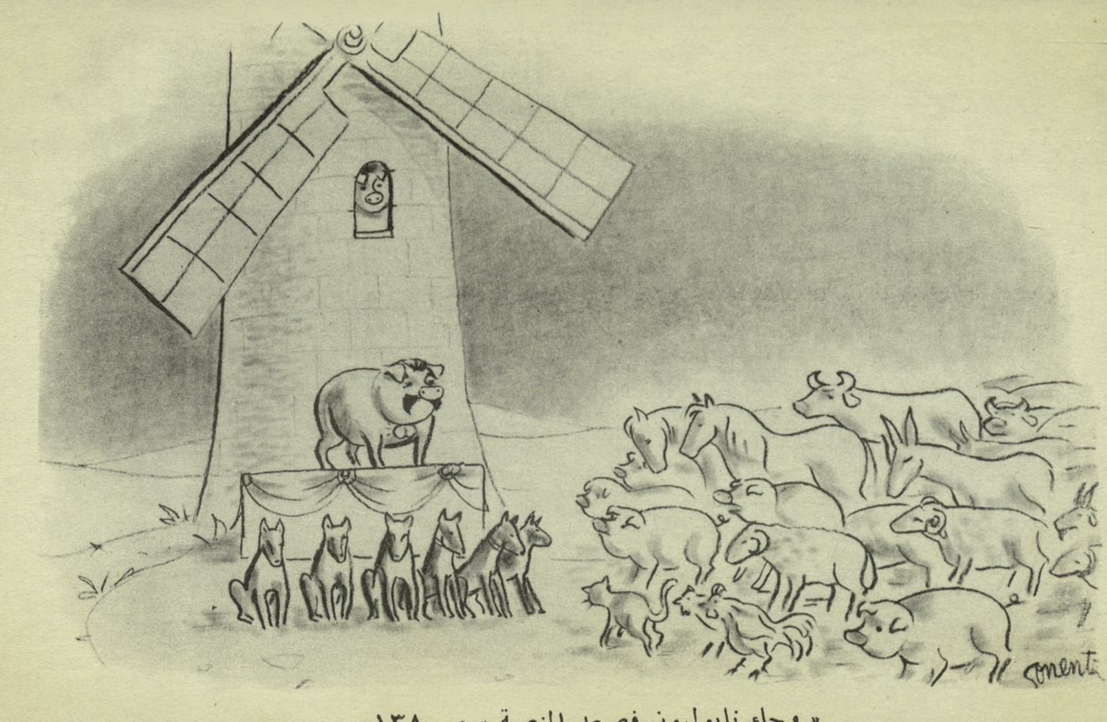
ومرت عليهم أيام خيل إليهم فيها أنهم أصبحوا يشتغلون ساعات أطول مما كانوا يشتغلون فى الأيام الخالية ويتلقون طعاماً أقل مما كانوا متلقيه .

واعتاد سكويلر فى اجتماعات الآحاد أن يمسك بورقة طويلة فيتلو منها عليهم أرقاماً وإحصاءات تثبت أن الإنتاج الغذائى ربا وزاد أضعافاً .

ولم يجد الحيوانات سبباً يدعو إلى تكذيبه ، لأنهم لم يعودوا يذكرون حق التذكر الأحوال التى كانت قبل الثورة ، وإن شعروا أنه ستأتى عليهم أيام يقل فيها الإنتاج عن حاجتهم .

وكانت الأوامر الآن تصدر من طريق سكويلر أو أحد الخنازير الأخرى .

ولم يعد نابوليون يتبدى فى المجامع كما كان يفعل منذ



« وجاء نابليون فصعد المنصة » ص ١٣٨



« وفى صبيحة اليوم الموعود جاءت مركبة بدال تحمل صندوقا ضخما فوقفت بباب الدار وحمل الصندوق اليها » ص ۱۷۱

أسبوعين فإذا ظهر لهم اتخذ الكلاب المفترسة وحدها حرساً ، بل اعتاد أن يصطحب أيضاً ديكاً أسود يمشى فى المقدمة بمثابة حامل طبل ليرسل صياحاً مستطيلا قبل أن يهم نابوليون بالكلام.

وقيل إنه أصبح فى الدار يقيم فى جناح خاص ، بمعزل عن معاشر الخنازير الآخرين .

وذهب الرواة يقولون إنه اعتاد كذلك أن يأكل وحده ، وأن يقوم كلبان على خدمته فى وجباته ، ويسعيا بالصحاف بين يديه ، ويتناول ألوان الطعام فى الأطباق الفضية التى كانت محفوظة فى « صوان » الدار ودواليبها .

وأذيع كذلك أن البندقية ستطلق مرات معينة فى عيد ميلاده كل عام ، فضلا عن إطلاقها فى عيد « الثورة » والأيام المشهودة فى التاريخ .

ولم يبق أحد فى المزرعة يتحدث عنه كما مضى مجرداً من الألقاب ، بل أصبح يلقب « بزعيمنا الرفيق نابوليون » ، وطلب من معاشر الخنازير أن يخلعوا عليه صفات أخرى ، كقولهم « أبا الشعب » و « الزعيم المرهوب » و « حامى الأنعام » و « بطل الأنام » ، وصديق الأوز والشياه ، وما إليها من الأسامى والأمجاد .

وجعل سكويلر فى خطبه وبياناته يتحدث عنه وعيناه مغرورقتان بالدمع ، وهو يصف حكمته وأصالة رأيه ، وطيبة قلبه ، والحب الصادق الذى يكنه للحيوانات فى كل مكان ، ولا سيما البائسين منهم والمكدودين الذين يعيشون منهم فى رق وعبودية وامتهان .

وأصبح شائعاً أن ينسب إليه الفضل فى كل عمل يتم ، ونجاح يتحقق ، ورخاء يتوافر ، وميسرة تعرض ، حتى لنستمع أحياناً لإحدى الدجاجات وهى تقول لصاحبتها : « بفضل زعيمنا المحبوب ، الرفيق نابوليون ، استطعت أن أضع خمس بيضات فى ستة أيام متوالية . . . » أو تمر ببقرتين وهما تتحاوران إذتقول واحدة منهما لزميلتها وهما تشربان من الترعة : « ماأعذب طعم هذا الماء ، إنه قد طاب منهلا بفضل زعامة الرفيق نابوليون وإخلاصه ومحبته » .

وقد تمثل الشعور العام فى المزرعة خلال قصيدة عنوانها « الرفيق نابوليون » من نظم الشاعر « منيموس » وفيها يقول :

« أبا الشعب ، وحبيب القلب
منبع الرخاء ، ومصدر الثراء
حامى الضعفاء وصديق الكادحين

إن روحى لتهفو حين أرنو إليك
ومشاعرى لتطفر إذ أنظر إلى عينيك
لأنك كالشمس فى السماء
أيهـــا الرفيق نابوليون . . . !
يا من تمنح الجميع ما يرتجون
وتملأ بالطعام المعد والبطون
وتقر بالنـــوم العميق العيون
وترعى المـــكدودين والبائسين
أيهـــا الرفيق نابوليون . . . !
ليت لى خنزيراً رضيعـــا
ينشـــأ سميعاً مطيعا
وينمو عـــلى الوفـــاء لك
وتـــكون أول هتفـــته بـــك،
ليحـــى الرفيق نابوليون . . . ! »

وطرب نابوليون لهذه القصيدة وأمر بأن تنقش على جدار الجرن الكبير فى الطرف المقابل لموضع الوصايا السبع ، تعلوها صورة جانبية له رسمها « سكويلر » بالطلاء الأبيض .

وفى تلك الأيام انشغل « الزعيم » بمفاوضات معقدة عن يد

السمسار « ويمبر » مع السيدين فردريك وبلكنجتون .

ولم تكن أكداس الخشب قد بيعت إلى ذلك الحين .

وكان فردريك أشد رغبة من الآخر فى شرائها ، ولكنه لم يعرض سعراً معقولا .

وتجددت يومئذ الإشاعات عن مؤامرة جديدة كان فردريك ورجاله يحبكون أطرافها لغزو المزرعة وتخريب الطاحون ، غيرة منه وحقداً .

وقيل إن سنوبول لا يزال يتردد على مزرعة « بنشفيلد » .

وما إن انتصف الصيف حتى روع الحيوانات برواية حملتها إليهم ثلاث دجاجات ، أو قل باعتراف تطوعن به ، وهو أن سنوبول أوحى إليهن أن يقتلن نابوليون .

فكان جزاؤهن الموت العاجل .

وشددت التدابير والاحتياطات لحراسة نابوليون وتأمين حياته فأقيمت أربعة كلاب ليلا بجانب مرقده ، كل كلب منها فى ناحية ، وعهد إلى حلوف صغير يدعى « بنكى » بأن يذوق من طعامه قبل أن يقدم إليه مخافة أن يكون الأعداء قد دسوا فيه السم ليقتلوه .

وأشيع يومئذ أن نابوليون قد اتفق على بيع الخشب للسيد

بلكنجتون ، وأنه مقدم أيضاً على عقد اتفاق على تبادل أغذية ومحاصيل مع القرية المجاورة .

وكانت العلاقات بينه وبين الرجل قد توثقت فى تلك الأيام من طريق السمسار ويمبر ، وازدادت مودة .

وكان الحيوانات يستريبون به ، وإن آثروه كثيراً على الآخر فقد كانوا يكرهونه ويخافونه .

وكلما أوغل الصيف ، وقارب بناء الطاحون على التمام ، راجت الروايات عن توقع هجوم أشد وأعنف من الهجوم السابق ، فقد قيل إن فردريك ينوى أن يهجم فى عشرين مقاتلا مدججاً بالسلاح .

وجاءت الأنباء من قرية « بنشفيلد » تترى عن قسوة فردريك على حيواناتها ، واشتداد وطأته عليها ، فقد ظل يضرب حصاناً عجوزاً حتى أماته تبريحاً وإيلاماً ، وأنه جعل يترك البقر حتى تنفق جوعا ، وأنه قتل كلباً بإلقائه فى المرجل لتأكله النيران وأنه يتلهى إذا أقبل المساء بمشهد الديكة وهى تشتجر ، ويدمى بعضها بعضاً .

وغضب معاشر الحيوانات وغلا الدم فى عروقهم حين سمعوا هذه الروايات عن سوء معاملة الرجل لإخوانهم فى المزرعة القريبة

حتى لقد تصايحوا مطالبين بالتخلية بينهم وبين الهجوم عليها وإخراج ذلك المستبد الطاغية منها ، وإطلاق سراح الحيوانات المعذبة فيها على تلك الصورة المنكرة .

ولكن سكويلر نصح لهم بوجوب تحامى الطيش والنزق والاعتماد على الرفيق نابوليون وحكمته وسداد رأيه ، فعدل القوم عما كانوا يفكرون فيه ، وإن ظلت كراهيتهم لفردريك تتفاقم وتزداد اشتداداً .

وفى صباح يوم أحد ظهر نابوليون فى الجرن ، ومضى يخطبهم قائلا إنه لم يفكر يوماً فى بيع الأخشاب له ، لأنه رأى أن التعامل مع مجرمين من هذا القبيل أمر لا يتفق والكرامة .

وأمرت الحمائم اللاتى كن يوفدن إلى الخارج لبث تعاليم الثورة بأن لا يذهبن إلى مزرعة فوكسوود ، وأن لا ينادين بسقوط العدو المبين .

وقبيل ختام الصيف انكشفت مؤامرة أخرى لسنوبول ومحاولة جديدة من محاولاته .

فقد تبين أن حقول القمح ملأى بأعشاب خبيثة تضر بالمحصول ، وظهر أن سنوبول فى زوراته الليلية للمزرعة جعل يمزج بذور القمح ببذور من تلك الأعشاب .

وجاء فرخ من الأوز كان ضالعاً معه فاعترف لسكويلر

بذنبه وبادر إلى الانتحار بابتلاع بقلات سامة .

وعلم الحيوانات أيضاً أن سنوبول لم ينعم يوماً عليه بوسام البطولة كما كان فريق كبير منهم يعتقدون ، إذ قيل لهم إن حديث هذا الوسام كان « خرافة » تناقلها بعضهم عقب معركة السقيفة ، وإن سنوبول نفسه هو الذى روجها وأشاعها فى المجامع ، وإن الواقع أنه قد وجهت إليه انتقادات مريرة ، وعيب على خيانته فى المعركة وخوره فى القتال .

ولكن فريقاً من القوم بهتوا مرة أخرى مما سمعوا ، وإن عاجلهم « سكويلر » كدأبه بمنطقه العجيب ومغالطاته المتقنة ، لإقناعهم بأن الذاكرة قد خانتهم .

وتم بناء الطاحون ، فى الخريف ، بجهد بالغ ، ودأب مضن ، فقد كان على القوم أيضاً جمع الحصاد ، ونقل المحصول إلى المخازن .

ولكن بقى الحصول على الآلات وتركيبها .

وكان « ويمبر » السمسار يتفاوض فى مسألة شرائها ، وإن تم التشييد ، واكتمل البناء .

لقد أنجز القوم العمل فى ميقاته ، برغم كل عقبة واجهتهم ، وقلة خبرتهم ، وسذاجة وسائلهم وأدواتهم ، ومؤامرات سنوبول

ودسائسه عليهم . .

وأحسوا النصب والإعياء ، ولكن أخذتهم العزة ، واستولى عليهم الزهو والخيلاء ، فمضوا يطوفون بذلك البناء البديع ، وقد لاح لأعينهم اليوم أمتن وأجمل مما كان يبدو حين أتموه أول مرة .

وكانت الجدران ضعف سمكها القديم ، وأمتن بناء ، فلا يتسنى لأحد بعد الآن تخريبها أو هدمها إلا إذا استخدم المواد المتفجرة على أقل تقدير .

وما كادوا يتخيلون المتاعب التى احتملوها ، والصعاب التى واجهوها ، والتطور العظيم الذى سيطرأ على حياتهم حين يدور الطاحون ، وتشتغل القوى المحركة ، حتى نسوا التعب الذى أدركهم ، والإعياء الذى حل بهم ، وطفقوا يرقصون ويطفرون من حول الطاحون ، مرسلين صيحات الفرح والفوز المبين .

وجاء نابوليون نفسه ، بجلالة قدره ، وكلاب حراسته ، والديك الصياح فى مقدمة موكبه وركبته ، ليتفقد العمل الناجز ، وراح يهنئ معاشر الحيوانات بعملهم المجيد ، وجهدهم المشكور ، وأعلن أن الطاحون سيسمى « طاحون نابوليون » .

وبعد يومين دعى القوم إلى اجتماع خاص فى الجرن الكبير

ولشد ما كانت دهشتهم حين أذاع نابوليون عليهم أنه قد باع الأخشاب للمستر فردريك ، وأن مركباته ستأتى من الغداة فتحملها إليه ، فقد تبين لهم أن نابوليون كان يتفق سراً مع فردريك ، وإن ظل طيلة الأيام الماضية يظهر المودة لمنافسه بلكنجتون .

وانقطعت العلاقات بعدئذ معه ، بل أرسلت إليه كتب شديدة اللهجة ، ووجهت إليه شتائم وسباب ، وقيل للحمام أن لا يزور مزرعته ، فى حين مضى نابوليون يؤكد للحيوانات أن كل ما قيل عن غزو محتمل لا أصل له ، وأن الروايات التى سمعوها عن قسوة فردريك على حيواناته مبالغ فيها كل المبالغة ، وأكبر الظن أن سنوبول هو الذى بثّ صنائعه لترويجها .

وتبين عندئذ أن سنوبول لم يكن مختبئاً فى مزرعة بنشفيلد وأنه لم يذهب إليها ولا مرة فى حياته ، بل أصبح يعيش فى ترف وبذخ بمزرعة فوكسوود وأنه ظل يتقاضى منه راتباً شهرياً منذ سنين .

أما الخنازير فكانت فى فرح عظيم بمكر نابوليون وذكائه فقد تظاهر بالعودة لبلكنجتون حتى حمل منافسه فردريك على

رفع السعر اثنى عشر جنيهاً .

وأنشأ سكويلر يحدث القوم عن براعة الزعيم بأسلوبه الخاص فقال : إن أبدع دليل عليها هو أنه لم يكن واثقاً بأحد ولا فردريك نفسه ، فقد أراد هذا أن يدفع الثمن بشيك أو « حوالة » ، أى بورقة يتعهد فيها بالدفع ، ولكن نابوليون كان أذكى منه وأكثر مكراً فأبى إلا أن يتقاضى الثمن أوراقاً مالية ، وأصر على قبضه قبل نقل الخشب فلم يسع فردريك إلا الرضوخ وأتى بالمال ، وهو ما يكفى لشراء الآلات المطلوبة للطاحون .

وبادر الذى اشترى الخشب إلى نقله فى عجلة بالغة ، وما كاد يحمل من المزرعة حتى وجهت الدعوة إلى اجتماع خاص فى ساحة « الجرن » لمشاهدة الأوراق المالية التى اجتمعت من بيع الخشب .

وجاء نابوليون فصعد المنصة وهو يبتسم ويزين صدره بالأوسمة ، وقد وضع الأوراق بجانبه فى كومة فوق صحفة من الخزف جىء بها من مطبخ الدار وأخذ الحيوانات يسيرون صفاً صفاً فى شكل عرض عام لإلقاء نظرة على الأوراق .

وجاء الحصان « بوكسر » فقرب منها أنفه ليشمها ، وإذا بها من هبة أنفاسه تكاد تتطاير من فوق صحفتها .

ولكن لم تنقض ثلاثة أيام حتى ثارت فى المزرعة ضجة بالغة.

فقد أقبل السمسار « ويمبر » شاحب اللون فى مثل شحوب وجوه الموتى ، وهو يعدو على دراجته ، وما كاد يبلغ فناء « الدار » حتى ألقاها جانباً واندفع نحو البيت .

وما هى إلا لحظة أخرى حتى ارتفع صوت نابوليون من جوف الدار وهو يكاد يتميز من الغيظ .

ولم يلبث السر أن شاع فى المزرعة وملأ الاسماع .

لقد ظهر أن الأوراق المالية . . . مزيفة !

وتبين أن فردريك أخذ الخشب بلا مقابل . . .

وأمر نابوليون بدعوة الحيوانات على الأثر ، وراح بصوت مرعب ينطق بالحكم بالموت على الرجل ، قائلا إنه سيغلى فى الماء إذا جىء به حياً.

وانطلق ينذر القوم بأن هناك ما هو أمر وأدهى ، بعد هذه الخيانة الصارخة ، فقد بات منتظراً فى أية لحظة أن يعمد فردريك ورجاله إلى الغزو المرتقب .

وأقيم الحراس على جميع المسالك المؤدية إلى المزرعة ، وأوفدت أربع حمامات إلى مزرعة فوكسوود يحملن رسالة تراض وصلح على أمل استعادة العلاقات الحسنة مع بلكنجتون .

ولكن الغزو بدأ من غداة اليوم التالى . . .

فقد جاء الكشافون مع بكرة الصبح يهرعون قائلين إن فردريك ورجاله قد جاوزوا الساعة أبواب المزرعة .

وما إن تسامع الحيوانات بالنبأ حتى خرجوا فى شجاعة للقائهم ولكنهم فى هذه المرة لم يظفروا بالنصر الميسور السهل الذى ظفروا به فى معركة السقيفة .

فقد كان المهاجمون خمسة عشر ، وعدد البنادق التى فى أيديهم ستًّا ، وما إن أصبحوا على قيد خمسين متراً ، حتى أطلقوا النار .

ولم يقو الحيوانات على مواجهة الرصاص ، فلم يلبثوا ، برغم تشجيع نابوليون لهم ، وحماسة بوكسر فى حفز هممهم ، وتقوية قلوبهم ، أن ولوا الأدبار ، ومنهم النازف ، والجريح .

ومضوا يحتمون بأبنية المزرعة ، ويطلون من «الكوات» والثقوب .

واستولى العدو على المراعى والطاحون .

وبدا نابوليون نفسه حائراً لا يدرى ماذا هو صانع .

وجعل يروح ويغدو وهو صامت ، يهز ذنبه المتقلص هزًّا ، ويرسل نظرات متلهفة صوب مزرعة فوكسوود قائلا فى نفسه إنه قد يكسب الميدان لو أن بلكنجتون ورجاله بادروا الساعة إلى نجدته.

ولكن الحمامات الأربع اللاتى كان قد أوفدهن فى اليوم السابق عدن ، وهن يحملن رسالة منه تحوى هذه الكلمات : « هذا ما جنته أيديكم » !

وكان فردريك ورجاله قد وقفوا عندئذ بالطاحون .

وكان الحيوانات ينظرون إليهم ليروا ما هم فاعلون ، ولشد ما كان جزعهم إذ أبصروا رجلين يخرجان فأساً ومجرافاً ليهدما الطاحون .

وصاح نابوليون قائلا : هذا مستحيل ! لقد بنينا الطاحون أكثف وأقوى من هذا الذى يحاولون ، فلن يهدموه على هذا النحو ولو بعد أسبوع . . . شجاعة وجلداً أيها الرفاق !

ولكن الحمار بنيامين جعل يراقب حركاتهم بكل انتباه ، فإذا الرجلان يحتفران حفرة فى الأرض بقرب قاعدة الطاحون .

وأطرق بنيامين برأسه وأنفه المستطيل وهو يكاد يلهو بهذا المشهد الأليم .

وأنشأ يقول : هذا ما كنت أرتقبه ، أفلاترون ما هم فاعلوه ؟ إنهم بعد لحظة واضعون بارودا فى تلك الحفرة . . .

ولبث القوم ينظرون مروعين .

واستحال عندئذ عليهم الخروج من مكمنهم الذى لاذوا به .

ولم تمض دقائق معدودة حتى رأوا الرجال يعدون فى كل ناحية مبتعدين .

وإذا بدوىّ رهيب يغمر الفضاء بقصف شديد .

وتطايرت الحمائم فى جو السماء .

وانبطح الحيوانات على الأرض وأخفوا وجوههم ، خلا نابوليون .

ولما استووا على سوقهم ، أبصروا دخاناً كثيفاً يتعالى فوق الطاحون .

ولكن الهواء لم يلبث أن بدده .

لقد توارى . . . الطاحون !

وعلى هذا المشهد عاودت القوم شجاعتهم ، وغرق اليأس والرعب اللذان استوليا منذ لحظة عليهم فى موجة من الحنق على هذا الجرم الشنيع ، والإثم الكبير .

وارتفعت من الحناجر صيحة غضب وانتقام ، واندفعوا دون انتظار لأوامر أخرى ، للانقضاض بجمعهم على العدو ، غير مبالين بالرصاص المتهاوى من حولهم كالمطر الوابل .

ونشبت عندئذ معركة وحشية مريرة . . .

وظل الرجال يطلقون النيران ، ولم يكد الحيوانات يطبقون

عليهم ، حتى أعملوا فيهم الهراوات والأحذية الثقال .

وسقط فى الحومة ثلاثة خراف وبقرة وأوزتان مستشهدين ، وكاد كل واحد من القوم لا يخلو من جروح ، حتى نابوليون ذاته الذى كان يوجه المعركة من المؤخرة ، أصابته رصاصة فأطارت طرف ذنبه .

ولكن الرجال أيضاً لم يسلموا من الأذى .

فقد هشمت حوافر بوكسر رؤوس ثلاثة منهم .

ونطحت بقرة رابعاً فى بطنه فبقرته .

وتمكنت الكلبتان جيسى وبلوبل من تمزيق سراويل رجل آخر بمخالبهما .

ولم تكد الكلاب التسعة التى تؤلف الحرس المحيط بنابوليون تتسلل تحت ستار من السياج ، وتظهر على أعين الغزاة ، وهى ترسل نباحاً يملأ الأفئدة رعباً ، وتحاول الالتفاف على المهاجمين ، حتى سرى الفزع فى صفوف المعتدين ، من أن يحاط بهم ، فصاح فردريك برجاله أن يبادروا إلى الخروج قبل فوات الأوان .

وما هى إلا لحظة أخرى حتى انطلقوا يطلبون النجاة بالأرواح .

وتبعهم الحيوانات مطارديهم إلى نهاية الحقول ، واستطاعوا

ركلهم بالسوق والأقدام ، فى اللحظات الأخيرة قبل أن يتسللوا من السياج مدبرين .

لقد انتصر معاشر الحيوانات . . .

ولكنهم كانوا من النصر مكدودين دامين نازفين .

وبدأوا فى رفق يظلعون إلى المزرعة منقلبين .

وأثار مشهد الرفاق المجندلين فوق الثرى عبرات الأحياء الباقين.

ووقفوا قليلا فى الموضع الذى كان يوماً مكان الطاحون فى صمت ووجوم .

إى والله !

لقد ذهب الطاحون .

ولم يبق لجهدهم فى ذلك الموضع أثر .

ولو رأوا إعادة بنائه لما وجدوا الأمر ميسوراً كما كان أول مرة ، فقد تناثرت الأحجار ، وتوارت عن الأبصار ، لأن قرة الانفجار ، طوحت بها مئات الأمتار ، ودكت البناء دكاً .

وبدا لهم كأن الطاحون لم يغن بالأمس .

وما إن اقتربوا من المزرعة ، حتى رأوا سكويلر يتسلل نحوهم وكانوا قد التمسوه فى المعركة فلم يجدوه .

وكان يهز ذيله وهو الفرح المطمئن .



« وحدث يومئذ حادث غريب شق فهمه على القوم » ص ١٤٩



« وما أن شفى حافر بوكسر حتى عاد أشد من قبل جهدا وأكثر كدحا » ص ١٦٠

وسمع القوم من جانب المزرعة دوىّ قذيفة .

فقال بوكسر : « لماذا أطلقت هذه القذيفة »؟

قال سكويلر : « للاحتفال . . . بالنصر » ؟ ؟ .

ولكن بوكسر راح يقول ساخراً : « أى نصر ؟ ؟ »

وكانت ركبتاه تقطران دماً ، وأحد حوافره مشقوقاً ، وحدوته متطايرة ، والرصاص مستقراًّ فى إحدى ساقيه الخلفيتين .

ومضى سكويلر يقول : « أتسألنى أيها الرفيق عن النصر ، ألم نطرد العدو من أرضنا ، ألم نطهر منه تربة وطننا المقدسة . . ؟ »

وقال بوكسر : « ولكنه دمر طاحوننا الذى قضينا عامين كاملين فى بنائه » .

قال : « وماذا يهم؟ ؟ سنبنى طاحوناً آخر ، بل ستة طواحين إن شئنا . . أفلا تقدر أيها الرفيق العمل العظيم الذى قمنا به . . لقد كان العدو يحتل هذه الأرض ذاتها التى نقف فوقها ، ولكنا بفضل زعامة الرفيق نابوليون قد استعدنا كل شبر منها ».

قال : « لقد كسبنا إذن ما كان من قبل لنا ! »

قال : « وهذا هو محل فوزنا ونصرنا . . .

وراحا يظلعان إلى الفناء . . .

وكانت الرصاصات التى استقرت تحت أديم بوكسر تؤلمه أشد الإيلام .

وتمثل الجهد المضنى الذى ينتظره فى سبيل إعادة بناء الطاحون من القواعد .

وبدا له أنه على معاودة الجهد قادر .

ولكنه لأول مرة شعر بأن سنه قد تقدمت به ، وأن قواه وعضلاته لم تعد كما كانت .

ولما رأى الحيوانات العلم الأخضر منصوباً ، وسمعوا طلقات النار تطلق سبع مرات ، وأصغوا إلى الخطبة التى ألقاها عليهم نابوليون مهنئاً لهم بجهادهم المثمر ، ونضالهم الرائع ، وبلائهم الحسن ، بدا لهم أنه من الجائز أن يكونوا قد ظفروا حقا بنصر مبين .

واحتفل القوم بدفن الضحايا والشهداء .

وتولى بوكسر وكلوفر جرّ المركبة التى كانت تحمل النعوش وسار نابوليون فى طليعة المشيعين .

وانقضى يومان فى مواكب واحتفالات . . .

وترددت الأغانى والأناشيد ، وتكررت الخطب والكلمات ، والقذائف والطلقات ، ومنح كل حيوان تفاحة إضافية ،

وكل طائر أوقيتين من القمح ، وكل كلب ثلاث قطع من البقسماط .

وأعلن أن المعركة ستدعى « معركة الطاحون » !

وأمر نابوليون بصنع وسام جديد يطلق عليه « وسام العلم الأخضر » .

ومنح نفسه أول وسام منه .

وفى بهرة الأفراح ، والليالى الملاح ، نسى القوم حديث الأوراق المالية المزيفة

وبعد أيام عثر الخنازير على صندوق من « الويسكى » فى أقبية المزرعة .

ولم يكن أحد قد فطن إليه عند احتلالها .

وفى تلك الليلة بالذات ارتفعت من جانب الدار أصوات تغنى أغنيات فاحشة ، وترسل ألحاناً فاسدة .

وطرقت أسماع الحيوانات فى خارج البيت أنغام من النشيد الوطنى القديم ، فأثارت فى نفوسهم دهشة بالغة .

وشوهد نابوليون فى موهن من الليل يخرج من الدار واضعاً فوق رأسه قبعة قديمة كانت للسيد جونز فى أيامه الخالية ومضى يلف الفناء لفـًّا ، ويعود فيختفى عن العيان .

وأصبح الصباح ، فساد الدار سكون طويل ، كسكون القبور والأجداث .

ولم يظهر خنزير واحد فى الحى .

وبدا سكويلر للقوم حين ارتفعت الضحى ، وهو يمشى متثاقلا منهوك القوى ، يتدلى ذنبه من خلفه متسحباً ، وتلوح عليه أعراض المرض الشديد .

وما لبث أن جمع إليه الحيوانات فأبلغهم أن لديه نبأ خطيراً وهو أن الرفيق نابوليون يحتضر . . . !

وسرت فى الصفوف صيحة جزع .

وارتفع العويل .

وفرش القش فوق الثرى خارج الدار وعلى الطريق المؤدى إليها ، ومضى القوم يمشون على أطراف أقدامهم حتى لا ينزعج المريض . . . !

وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ماذا هم صانعون إذا انتزع الموت زعيمهم .

وراجت الإشاعة بأن « سنوبول » عرف أخيراً كيف يحتال لدس السم له فى طعامه .

وقبل الظهيرة جاء سكويلر بنبأ جديد .

قال إن الرفيق نابوليون، كآخر قرار له فى هذه الدنيا ، قد أمر بأن تكون عقوبة الإعدام جزاء على شرب الخمر .

ولكن لم يأت المساء حتى طرأ التحسن على صحته ، وفى صباح اليوم التالى جاء سكويلر يحمل إليهم نبأ بهيجاً .

لقد أخذ الزعيم يتماثل إلى العافية .

وما لبث نابوليون فى المساء أن عاود العمل .

وعلم القوم فى اليوم التالى أنه عهد إلى سمساره بشراء بعض الكتب عن طريقة التخمير ووسائل التقطير .

ولم ينقض أسبوع آخر حتى أصدر أمراً بأن تحرث الأرض المترامية خلف البستان ، والتى كانت النية متجهة إلى تخصيصها للحيوانات التى قعدت عن العمل لتكون مرعى لهم فى سن الشيخوخة والتقاعد .

وقيل فى تبرير هذا الأمر الجديد إن المرعى قد أجدب وأصبح بحاجة إلى إعادة زرعه وتجديد نضرته، وإصلاح برسيمه.

ولكن القوم تبينوا أنه يريد أن يزرع الأرض شعيراً .

وحدث يومئذ حادث غريب شقّ على القوم فهمه .

ففى ذات ليلة طرق الأسماع فجأة صوت صدمة شديدة فى رحبة الدار ، فخرجت الحيوانات من المرابط مروعة ، وكانت

الليلة قمراء ، فرأوا عند أسفل الجدار الخارجى الذى نقشت عليه الوصايا السبع سلماً من الخشب مفلوقاً قطعتين وبصروا بسكويلر منبطحاً بجانبه ، كأنما قد سقط من فوقه ، وعن كثب منه وعاء الطلاء مقلوباً ، والفرشاة ملقاة غير بعيد .

ولم تلبث الكلاب أن أحاطت بسكويلر ، ومشت من حوله تحرسه ، حين تحامل ونهض من مكانه لينكفىء إلى مرقده .

ولم يستطع أحد أن يفهم السر إلا « بنيامين » فقد راح يطرق برأسه إطراقة الخبير العليم ، وإن لم يشأ أن يقول شيئاً .

ولكن بعد أيام أراد « موريل » أن يقرأ الوصايا السبع كدأبه فإذا به يجد بينها نصاً لم يذكر أنه كان قد قرأه من قبل .

فقد كان يعلم أن الوصية الخامسة تنهى عن « شرب الخمر » ، ولكن لشد ما كانت دهشته حين وجد تعديلا أدخل عليها ولم يكن وارداً فى النص .

وكانت الكلمات التى بدت له زائدة هى . . . « إلى حد الإفراط » . . . !

— ٩ —

ولبث حافر « بوكسر » المشقق وقتاً طويلا قبل أن يستكمل الشفاء .

وكان القوم قد عاودوا العمل فى سبيل بناء الطاحون الذى نسفه الأعداء عقب النصر والاحتفال به .

وقد أبى بوكسر أن يستريح ولو يوماً واحداً ، ورأى من العزة والفخار أن يكتم ما به من ألم ، ويدفن ما فى نفسه من وجيعة ، وإن مضى فى المساء يكاشف « كلوفر » بها ، ويسر إليها همه وألمه ، فكانت تعالج الحافر المشقوق « بلبخات » من بعض الأعشاب تصنعها بالاجترار واللوك بفمها ، وطفقت هى وبنيامين يناشدانه أن لا يحمل فى العمل على نفسه ، ويخفف قليلا من جهده ، وهى قائلة له : « إن رئتى الحصان يا أخى لا تعيشان أبداً » .

ولكنه لم يكن يصغى إليها ، بل لا يفتأ يقول إنه لم يبق له فى هذه الدنيا غير مأرب واحد ، وهو أن يشهد الطاحون قائماً قبل اعتزاله .

وكانت القاعدة التى وضعت بعد « الثورة » عند اشتراع القوانين الجديدة ، وسن المبادئ المثالية ، لبناء المجتمع من جديد ، وتنظيم الدولة الناشئة ، قد جعلت السن المقررة للاعتزال « والمعاشات » اثنتى عشرة للخيل والخنازير ، وأربع عشرة للبقر وتسعاً للكلاب ، وسبعاً للغنم ، وخمساً للأوز والدجاج .

وتقررت يومئذ معاشات سمحة كريمة للمتقاعدين .

ولكن لم يكن أحد من الحيوانات قد بلغ يومئذ السن المقررة ، وإن بدأ البحث يتجدد فى هذا الشأن من الحين إلى الحين .

وما إن سمع القوم فى تلك الأيام بأن قطعة الأرض الصغيرة المحدودة التى كانت مخصصة لأرباب المعاشات خلف البستان قد حرثت وهيئت لزراعة الشعير ، حتى أشيع أن ركنا من المرعى سيحجز ويخصص للمتقاعدين ، وأن معاش الحصان سيكون خمسة أرطال من الحبوب فى اليوم صيفاً ، وخمسة عشر من التبن شتاء ، إلى جانب جزر أو تفاح فى المواسم والأعياد .

وكان بوكسر منتظراً أن يتم الثانية عشرة فى صيف العام القادم .

ولكن الحياة كانت يومئذ قاسية ، وجاء الشتاء قارساً كما كان فى العام الماضى ، وشح الطعام ، فأنقصت الجراية مرة أخرى ، إلا عن الخنازير والكلاب .

وقال « سكويلر » فى تبرير هذا الإجحاف ، والتشفع لذلك التمييز ، إن مراعاة المساواة المطلقة فى توزيع الأغذية تتنافى مع المبادئ الجديدة .

ولم يشق عليه أن يثبت للحيوانات أنهم فى الواقع لا يعانون نقصاً فى الأغذية ، وإن بدا ذلك لهم ، واقتضى الأمر فى الظروف الحاضرة إعادة تنظيم الجرايات .

وكان سكويلر قد اعتاد أن يستخدم هذا التعبير « إعادة تنظيمها » بدلا من كلمة « إنقاصها »

ومضى يقارن بين الأرقام فى النظام الجديد ، وبينها على عهد الطغاة الغابرين ، ليثبت لهم بالتفصيل أنهم قد ظفروا من الشعير والذرة والتبن والبرسيم والكرنب بمقادير تفوق ما كانوا يجدونه فى ذلك العهد الممقوت ، وأنهم يشتغلون ساعات أقل مما كانوا مشتغليه ، وأن مياه الشرب أصبحت أنظف وأصلح ، وأن الوفيات أقل وأندر ، وأن الأطفال أحسن منقلباً .

وصدق القوم كل كلمة قالها لهم ، فقد كانوا يعلمون أن الحياة اليوم أشق وأعنف ، وأنهم كثيراً ما يعانون المسغبة ويقاسون البرد ، والكد فى العمل ، ولكن الأيام الخوالى كانت شرًّا من ذلك كله وأسوأ مردًّا .

ألم يكونوا من قبل عبيداً أرقاء ، وهم اليوم أحرار طلقاء .

وراح سكويلر يعقب على هذه المقارنة الأخيرة بقوله : وهذا هو الفارق « بل كل الفارق » !

وزادت الآن الأفواه التى تطلب الطعام ، لكثرة التوالد ، ووفرة النسل ، فقد عشرت الخنازير الأربع معاً فى الخريف فولدن فيما بينهن ثلاثين وليداً بين ذكران وإناث .

وجاء أولئك الولدان كلهم ضلعاً ، وكان نابوليون هو الحلوف الأصلع الفذ فى المزرعة ، فلا نحسب ثمة عناء فى معرفة من يكون أباً لأولئك الولدان . . . !

وقد أذيع بعدئذ أن النية متجهة إلى بناء مدرسة فى حديقة الدار ، إذا تيسر شراء الطوب والخشب ، بل لقد مضى نابوليون نفسه يتولى أمر تعليمهم فى المطبخ وتنشئتهم على يديه.

وطفق الصغار يتريضون فى الحديقة وينهون عن الاختلاط بصغار الحيوانات الأخرى .

وتقرر أيضاً كقاعدة مرعية أن يتنحى كل حيوان عن الطريق إذا التقى فيه بخنزير ، وأن يسمح لمعاشر الخنازير وحدهم ، وعلى اختلاف درجاتهم ، بوضع أشرطة خضر حول أذنابهم فى أيام الأعياد .

وكانت المزرعة بحاجة إلى المال ، لتوفية مطالب المدرسة التى أعلن عن قرب إنشائها من الآجر والرمل والجير ، كما كان الموقف يقتضى الادخار لشراء الآلات المطلوبة للطاحون .

واحتاجت المزرعة أيضاً إلى زيت الاستصباح والشمع والقناديل والحصول على مقادير من السكر لصنع الحلوى لنابوليون وحده ، فقد ضن به على الخنازير الآخرين محتجاً بأن أكل السكر يزيدهم سمناً وترهلا .

واقتضى الأمر شراء حاجات أخرى مختلفة لسداد العجز فى العدد والمسامير والحبال والفحم والأسلاك وما إليها .

وقد عمد الخنازير إلى بيع أحمال من التبن وجزء من محصول البطاطس وزيادة المقادير التى سبق التعاقد عليها من البيض إلى ستمائة فى الأسبوع ، حتى اضطرت الدجاجات إلى إجهاد قواها فى ذلك العام لتحرص على المعدل المطلوب .

وعاد الخنازير إلى الجراية التى أنقصت فى ديسمبر فأنقصوها مرة أخرى فى فبراير ، وإن ظلوا هم الناعمين بالرغد والترف ، المترهلين على الأيام من الراحة والشبع والرخاء .

وحدث فى ذات أصيل أن هبت على أنوف الحيوانات من جانب غرفة « التخمير » القريبة من مطبخ الدار رائحة مغرية

مشهية دافئة زكية لا عهد لهم بمثلها .

قال قائل منهم إنها رائحة شعير مطبوخ .

ووقفوا يستافون الهواء من الجوع ليستمتعوا بشميم هذه النكهة العجيبة ، مؤملين أن يوافيهم على العشاء طعام دافئ شهى مثلها.

ولكنهم لم يظفروا بما كانوا مرتجيه .

وأذيع بعد أيام أن محصول الشعير كله سيحتفظ به من الآن.

وتبين أن الحقل المترامى خلف البستان قد تم فعلا حرثه ليزرع شعيراً .

وما لبثت الأنباء أن تسربت بأن كل خنزير أصبح يتلقى مع الطعام قدراً يومياً من « الجعة »، وأن نابوليون أصاب أضعافه لنفسه ، وأن الجعة تقدم إليه على الطعام فى القوارير .

ولكن بعض هذه المتاعب التى كان القوم يتحملونها ، وصنوف الإجحاف التى يعانونها ، لم تفسد عليهم كثيراً قيمة الحياة الجديدة التى كانوا يحيونها ، فقد حفلت بالأغانى ، وكثرت فيها الخطب ، وامتلأت أيامها بالحفلات والمواكب ، وحشدت ألواناً من المظاهرات ، فقد أمر نابوليون بأن تقام فى كل أسبوع حفلة تدعى « الحفلة الأسبوعية الدائمة » للاحتفال بالجهاد الوطنى ، والنصر المعلم ، والأمجاد الكريمة

الخالدة ، فلا يكاد يحل الموعد فى كل أسبوع حتى يغادر الحيوانات أعمالهم وتنتظمهم تشكيلات أشبه بالتشكيلات العسكرية ، فيطوفوا الأحياء مواكب حاشدة ، تتقدمها الخنازير وتتلوها الخيل ، فالبقر ، فالغنم ويأتى فى الساقة الدجاج .

وكانت الكلاب تصطف على حواشى المواكب ، ويسير فى الطليعة ديك نابوليون الصياح .

واعتاد بوكسر وكلوفر أن يمسكا بينهما بطرف علم أخضر عليه شعار الحافر والقرن ، وقد نقش على أديمه « ليحى الرفيق نابوليون » !

وفى هذه الحفلات كانت تتلى القصائد الرنانة فى مديح « الزعيم » والإشادة بأفضاله ، وينبرى « سكويلر » فيلقى خطاباً فياضاً ينوه فيه بما زاد من الإنتاج ، وما ربى من المحصول ، وما توافر من الخير العام .

وكثيراً ما كانت القذائف تطلق فى هذه الحفلات ، وكانت معاشر الأغنام أكثر القوم رضا بها ، وإقبالا عليها ، فإذا ما تصدى منهم فريق وهم بعيدون من موضع الخنازير فى الحقل وبمنأى عن الكلاب ، لإظهار التبرم بها ، وإبداء التأفف من مدارها على الأسابيع ، قائلين إنها مضيعة للوقت وإنها متلفة

للحياة ، وإن القوم لا يجنون منها غير الوقوف بالساعات تحت الطل ، أو مستهدفين للبرد ، بادر الغنم إلى إسكات هذه الأصوات الشاكية بالهتاف المتعالى مع رغائهم المألوف ، وهو كل ذوات الأربع أخيار . . .

ولكن جمهرة الحيوانات كانت تجد متعة فى تلك المواكب والحفلات ، لما كانت توحى إليهم به ، من العزاء عن متاعبهم وسوء منقلبهم ، فى الشعور بأنهم اليوم سادة أنفسهم ، ولم يعد لأحد سلطان عليهم ، وأن هذا الجهد الشاق الذى يبذلونه هو لخيرهم ونفعهم .

وهكذا لم يلبث القوم بتلك الأناشيد والمواكب والخطب والبيانات الضافية ، والأعلام الخفاقة ، والرايات المنصوبة ، إن تناسوا بطونهم الخاوية ، ولو إلى حين .

وفى شهر أبريل نودى فى المزرعة « بالجمهورية » واقتضى الأمر انتخاب « رئيس » .

ولم يكن للرياسة غير مرشح واحد ، وهو الرفيق نابوليون ، فانتخب لها بالإجماع .

وفى يوم الانتخاب بالذات أذيع اكتشاف مستندات جديدة تنطوى على أسرار ومعلومات أخرى تدل على اشتراك « سنوبول »

فى المؤامرة مع الأعداء ضد قومه .

وقيل إنه لم يحاول ، كما كان القوم يظنون ، إيقاع المزرعة فى الهزيمة يوم السقيفة ، بخدعة حربية ، فحسب ، بل كان فعلا يحارب فى صفوف العدو ، بل لقد كان هو الذى جاء بها وتولى قيادتها ، وحرضها على مقاتلة المزرعة كل التحريض ، وأن الجرح الذى أصاب ظهره ، ولا يزال بعضهم يذكره ، كان من أثر أسنان نابوليون وأنيابه التى مضى يغيبها فى لحمه .

وفى أواسط الصيف ظهر فجأة الغراب الأسحم « موسى » بعد غيبة عدة سنين ، ولم تتغير أحواله ولا عدا عليه من الدهر عاد ، وما فتئ المتبطل المتعطل لا يزاول عملا ، ولا ينثنى عن الكلام ، فى « الجنة » الموعودة ، وألفاف الشجر والنخيل

وكان يرف بجناحيه على جذع شجرة خاوية ويقضى الساعات الطوال فى التحدث إلى سامعيه ، وهو يقول مشيراً بمنقاره المستطيل إلى السماء : « هنالك أيها الرفاق، على الجانب الآخر من تلك السحب الوطفاء التى ترونها ، يمتد ذلك العالم الجميل السعيد ، الذى سنجد فيه نحن معاشر الحيوانات البائسين العناة الراحة الأبدية من الشقاء والعناء » .

ومضى مرة يقول لهم إنه طالما تصور ذلك العالم الفسيح

الرغيد فى خلواته ، وتخيل تلك الحياة السرمدية البديعة فى تحليقاته وسرحاته .

وكان خلق كثير بما يقول مصدقين مؤمنين .

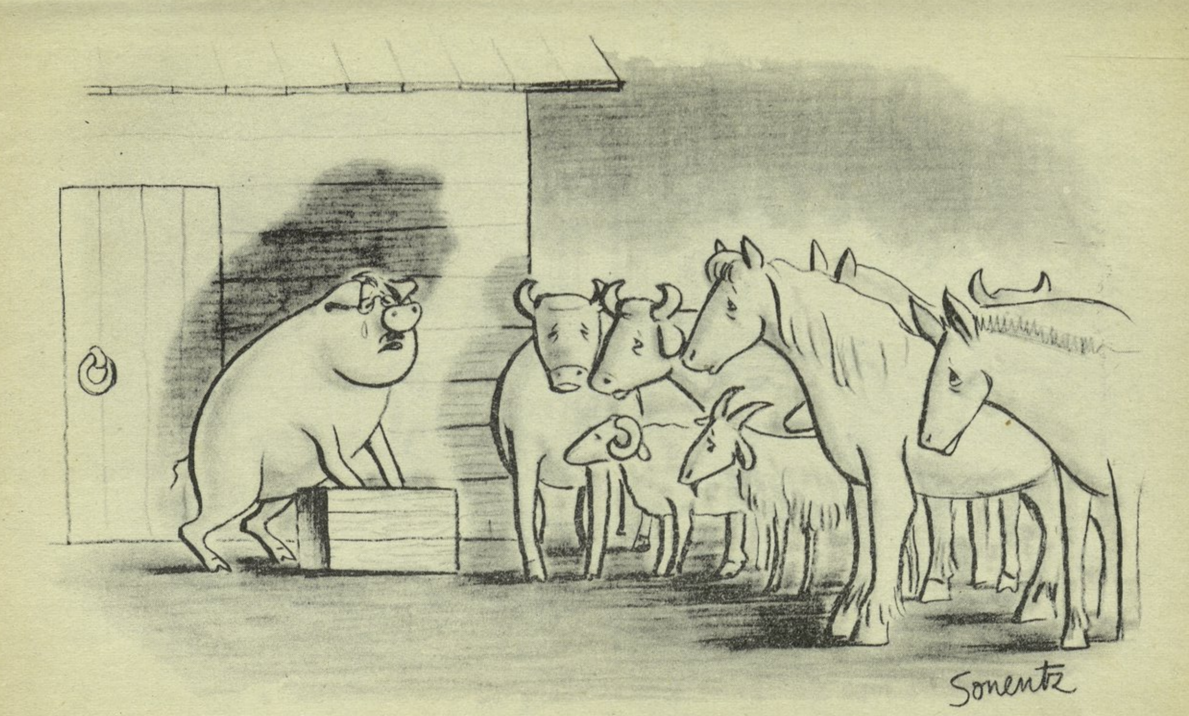
فقد بدت الحياة لهم فى المزرعة مليئة بكد وكدح ، فلا عجب ، ولا كذب ، فيما يقوله عن حياة أخرى سعيدة ، لا يجوعون فيها ولا يعرون ، وقيام عالم أفضل وأهنأ ينعمون فيه أبداً .

ولم يكن أحد فى المزرعة يسخر منه غير معاشر الخنازير.

فقد راحوا يقولون إنه الكذاب الأشر ، والدجال الذى لا ينبغى أن يستمع القوم إليه .

ولكنهم سمحوا له بالمقام فى الأرض ، ولم يطردوه من المزرعة ، وآتوه طعاماً بغير عمل .

وما إن شفى حافر « بوكسر » حتى عاد أشد من قبل جهداً وأكثر كدحاً ، وكان القوم جميعاً يكدون فى ذلك العام كد العبيد ، فقد كان أمامهم ، بجانب عملهم اليومى المنظم المستمر فى المزرعة ، وإعادة بناء الطاحون ، تشييد مبنى المدرسة التى يراد تخصيصها لتعليم صغار الخنازير ، الذى بدأ فى شهر مارس الماضى .



« سكريلر يشرح العناية البالغة التى حفت بموت الحصان (المجاهد) » ص ١٧٠



« نابوليون في حلة رسمية » ص ١٨٤

وكان طول الجهد بغير طعام كاف ، مشقة بالغة على « بوكسر » ومجهدة مضنية لقواه ، ولكنه لم يكن ليتردد أو يتخاذل ، ولم يكن يبدو فى قوله أو عمله شيء يوحى بأن قواه قد تراخت ، وإن تغير مظهره ، هوناً ما ، فلم يعد أديمه براقاً ملتمعاً كما كان ، وبدا النحول على مؤخره وعجزه .

وكان القوم يقولون : « إن بوكسر سيسترد قواه إذا أقبل الربيع وطلع البرسيم .

ولكن موسم البرسيم حل ، ولم يسمن بوكسر أو يسترد ما فقد من وزنه .

وكان أحياناً وهو على المنحدر المؤدى إلى رأس المقلع يلقى بكل ما بقى فى عضلاته من قوة ليزحزح حجراً ضخما من مكانه فلا يبقيه مستوياً على سوقه شيء غير قوة الاستمرار ، وحافز الإرادة .

وكانت شفتاه عندئذ تغمغمان وتختلجان ، لترسما كلمته المعهودة « سأضاعف الجهد » فلم يبق له من صوت يرتفع بقول ، أو يتجمجم بكلام .

وعاد بنيامين وكلوفر يحذرانه وينصحانه بأن يرعى صحته ، لكنه لم يكن ليأبه بالحذر ، أو يحفل بالنصيحة ، فقد أوشك

أن يتم الثانية عشرة ، فلا يهمه شيء ما دام القادر على أن يجمع من الحجارة قدراً طيباً لبناء الطاحون قبل تقاعده .

وفى ذات مساء ، وقد ألقى الصيف مراسيه ، سرى فى المزرعة نبأ بأن حادثاً جرى لبوكسر .

وكان قد ذهب وحده ليجر حملا من الأحجار من المقلع إلى الطاحون ، ولم يؤب إلى مربطه .

وبينما كان القوم يتساءلون أى خطب دهاه ، إذ أقبلت حمامتان تقولان نه سقط فوق المنحدر وهو الساعة مستلق فى مكانه حيث سقط لا يستطيع نهوضاً .

وعلى النبأ المروع انطلق خلق كثير يهرعون إلى الرابية فوجدوه قد سقط بين عريشى العجلة ممدود العنق لا يستطيع تحريك رأسه ، وقد استحالت عيناه كالزجاج والعرق يتصبب من جبينه ، وخيط من الدم ينزف من فمه .

فما إن شهدته كلوفر على تلك الحال حتى جثت بجانبه وصاحت تقول : « بوكسر ! كيف حالك ؟ ؟ » .

قال مخافتاً : « صدرى . . . ولكن لا تحفلوا بى ، وأكبر ظنى أنكم غداً قادرون على إنجاز بناء الطاحون دونى ، فقد جمعت لكم مدخراً طيباً من الأحجار ، وكنت أحسبنى سأجلد

على العمل شهراً آخر ، ثم يتحقق أملى فألتمس التقاعد وأستريح وكنت أرجو أن يتم « بنيامين » مدته كذلك فيصبح لى فى المعاش زميلا ، ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه . . .

قالت كلوفر : « نريد معونة فى الحال لنحمله ، فليذهب أحدكم إلى سكويلر ليحمل النبأ إليه . .

وانطلق كثيرون سراعاً ليوافوا سكويلر به .

وبقيت كلوفر وحدها بجانبه .

وجاء بنيامين فرقد عن كثب ، وأنشأ يذود الذباب بذنبه عنه .

وبعد برهة جاء سكويلر بادى الرثاء والقلق ، فقال إن الرفيق نابوليون تأثر أبلغ التأثر حين علم بهذا المصاب الذى نزل بمجاهد من أصدق المجاهدين ، وأنه أخذ يعد العدة لإرساله إلى المستشفى القائم فى البلد المجاور لمعالجته .

ولكن القوم ساورهم بعض القلق حين سمعوا هذا النبأ ، فلم يسبق لأحد منهم الخروج من المزرعة إلى بلد غريب ، غير « موللى » وسنوبول ، ولم يرقهم أن يحمل رفيقهم المريض إلى الخارج لعلاجه .

ولكن سكويلر لم يجد عناء فى إقناعهم بأن الطبيب البيطرى فى ذلك المستشفى يستطيع علاجه وهو القدير على برئه .

ومضى نصف ساعة أو نحوه فأخذ بوكسر يسترد شيئاً من قواه ، ويقف على سوقه ، ويمشى متثاقلا إلى مربطه ، حيث أعد بنيامين وكلوفر له فراشاً وثيراً من القش .

ولبث بوكسر فى مربطه يومين لا يغادره .

وكان معشر الخنازير قد أرسلوا زجاجة كبيرة ملأى بدواء أحمر اللون عثروا عليه فى الدار ، فجعلت كلوفر تجرعه منه مرتين فى اليوم بعد الطعام .

وفى المساء جعلت تجىء إلى مربطه تتحدث ملياً إليه ، وظل بنيامين يذود الذباب والهوام عنه بذنبه الطويل .

وكان بوكسر يقول لهما إنه ليس على ما حدث بحزين ولا هو بآسف ، فإن هو شفى ، فلعله عائش ثلاث سنين أخرى ، وناعم خلالها بأيام راحة فى ركن من ذلك المرعى الذى أعد للمتقاعدين ، مستمتع لأول مرة بالفراغ ليدرس ويتعلم ويتعهد ذهنه وخاطره بالتهذيب والتنوير .

ولم يتوات لصاحبيه ، بنيامين وكلوفر ، البقاء بجانبه إلا بعد ساعات العمل .

ففى اليوم الثالث ، جاءت مركبة من الضحى لتحمله إلى الخارج ، بينما كان القوم جميعاً يعملون فى حقول الكرنب تحت

إشراف بعض الخنازير .

وبينما هم كذلك إذ أقبل « بنيامين » من جانب الدار « مبرطعاً » ناهقاً أشد النهيق .

وبهت القوم لمشهده ونهيقه ، فقد كانت تلك أول مرة يرونه فيها هائجاً على تلك الصورة ، متوثباً عادياً على ذلك النحو .

وما إن دنا منهم حتى صاح فيهم : « البدار . . . البدار . إنهم آخذون بوكسر من المزرعة . . . »

ولم يكد القوم يسمعون النبأ حتى تركوا العمل غير عابئين بالخنزير الذى يشرف عليهم وانطلقوا يعدون إلى المزرعة وهم لا يلوون على شيء .

وإذا بهم يشهدون فى فناء الدار مركبة كبيرة مقفلة يجرها حصانان ويجلس رجل تبدو عليه أمارات الخبث والمكر فى مقعد السائق .

ووجدوا مربط بوكسر خالياً منه . . .

فأحاطوا بالمركبة وهم يصيحون معاً : الوداع يا بوكسر . . . الوداع !

ولكن بنيامين لم يلبث أن صرخ فيهم ، وهو يتواثب من حولهم ويضرب الأرض بحافره : « أيها الحمقى ، أيها البله ...

ألا ترون ما هو مكتوب على جنب المركبة . . . ؟

وفى الحال كف الحيوانات عن الصياح .

وراح « موريل » يتهجى الكلام المكتوب .

ولكن بنيامين أزاحه عن مكانه ، وأنشأ يقرأ وسط سكون رهيب .

عربة المذبح . . . !

ودار بعينه إلى القوم فقال : « هل تعرفون ما معنى هذا الكلام . إنهم آخذوه إلى المسلخ . . !

وعندئذ انبعثت من الحناجر صيحة دهشة خليطة بفزع .

ولكن الحوذى القائم فوق مقعده ألهب الحصانين بسوطه فانطلقت المركبة مسرعة .

وتبعها الحيوانات وهم جميعاً يصرخون من قرونهم .

واستطاعت كلوفر أن تستبق الجميع لتدرك المركبة ولكنها كانت فى طريقها مسرعة مارقة .

وحملت كلوفر على قواها فجعلت تعدو بأقصى سرعتها وهى تصيح : « بوكسر . . بوكسر ... . »

وكأنما قد سمع الحصان صياحها فإذا بوجهه وغرته المترامية إلى أنفه يطلان من الكوة الصغيرة خلف المركبة .

ولمحته كلوفر فصرخت منادية : « بوكسر ... بوكسر ...»
أخرج إلينا . . . عجل بالخروج . . إنهم آخذوك إلى المسلخ ؛

وانطلق الحيوانات فى أثرها صائحين به : « أخرج إلينا...
أخرج إلينا . . . »

ولكن المركبة كانت ممعنة فى السير ، مبتعدة عن الطريق

ولم يتأكد أحد هل أدرك « بوكسر » كلام كلوفر وفهم
إلى أين المساق ؟ . . .

ولكن وجهه لم يلبث لحظة حتى اختفى من الكوة ، وطرق
الأسماع صوت حوافره وهو يضرب بها أرض المركبة ، ولعله
كان يحاول الخروج منها جاهداً .

واأسفاه على بوكسر !

لقد أتى عليه حين من الدهر كانت فيه الركلة الواحدة من
إحدى سوقه كافية لتحطيم المركبة وفلق أخشابها فلقاً .

ولكن لله هو !

لقد خذلته قواه فلم تمض لحظات حتى انقطعت مواقع
حوافره داخل المركبة ، وسكنت نأمته .

وانثنى الحيوانات من فرط اليأس يتوسلون إلى الحصانين
اللذين يجران المركبة ، صائحين بهما : « أيها الرفيقان ... إنكما

سائقان بزميل لكما إلى الموت ، فلا تذهبا به » .

ولكن الحصانين المغفلين لم يدركا ما هو واقع ، فنشرا آذانهما فى الفضاء وشددا المسير .

ولم يعد وجه بوكسر يلوح من الكوة .

وكان قد خطر لأحد الحيوانات أن يبادر إلى إغلاق البوابات الخمسة قبل أن تصل إليها المركبة .

ولكن الوقت كان قد فات ، ولم تمض لحظة حتى اجتازت الأبواب ، ثم اختفت بالحجاب .

وكان ذلك آخر عهد القوم برفيقهم « بوكسر » المسكين .

وأذيع بعد ثلاثة أيام إنه مات فى « شفخانة » البلدة المجاورة برغم العناية البالغة بعلاجه ومحاولة إنقاذ حياته .

وجاء سكويلر ليحمل النبأ إلى الآخرين .

فقال إنه كان حاضراً ساعة منيته .

وانطلق يصف ذلك المشهد قائلا : لقد كان منظراً يهز النفس هزاً ، ويحزن القلب أشد الحزن وما أحسبنى رأيت فى حياتى مشهداً مثله فى رهبته وإيلامه .

وراح يرفع إحدى قوائمه ليمسح دمعة تحيرت فى مآقيه .

وانطلق يقول : لقد كنت بجانب فراشه وهو فى سكرات الموت ،

وقبيل محضر المنون انعقد لسانه ، ولكنه حاول أن يتجمجم بقول فلم يستطع إلا أن يهمس فى أذنى قائلا : إنه لا يأسف فى ترك الدنيا إلا على شىء واحد ، وهو أن يودعها قبل أن يتم بناء الطاحون ، فإلى الأمام أيها الرفاق ولا تنوا ولا تتخاذلوا باسم الثورة وعلى بركتها ، ولتحى مزرعة الحيوانات وليحى الرفيق نابوليون ، الذى لا يخطئ يوماً ولا يضل سواء السبيل .

وهز سكويلر رأسه مراراً وهو يقول : إى والله ، هذه كلماته قبيل الممات . . . !

وتغيرت سحنة سكويلر فجأة وأطرق لحظة ثم راحت عيناه ترسلان نظرات مريبة فيمن حوله وأنشأ يقول : إنه عرف أن إشاعة خبيثة راجت على أثر نقل بوكسر فى المركبة ، وأن بعض الحيوانات لاحظوا أنه كان مكتوباً على ظاهرها أنها من مركبات المذبح فاستنتجوا اعتباطاً أن بوكسر مأخوذ إلى الذبح .

وانطلق يهز رأسه أسفاً وعجباً وهو يقول : إنه ما كان يظن أن فى الدنيا حمقاً مثل هذا الحمق ، ولا سخفاً كهذا السخف .

واتخذ سمات الغضب وراح يهز ذنبه يمنة ويسرة قائلا إنهم بلا ريب يعرفون زعيمهم نابوليون حق المعرفة ويكبرونه عن هذا الظن الأثيم الذى ظنوه به ، ولكن سر ذلك بسيط ،

وتفسيره هين ، فقد كانت المركبة فعلا لأحد القصابين ، فاشتراها منه الطبيب البيطرى ، منذ عهد قريب ، فلم يتيسر له محو المكتوب على ظاهرها ومن هنا جاء الخطأ ، وخالج الشك النفوس . . .

وسمع القوم مقالته فخف ما بهم واستراحوا إليه .

وما كاد سكويلر يمضى فى شرح التفاصيل ، ويعود إلى وصف العناية البالغة التى حفت بموت الحصان « المجاهد » والأدوية الغالية التى دفع الزعيم ثمنها غير حافل بفداحة النفقات أو متردد فى الوفاء بحق المريض العزيز عليه حتى زالت نية الشك التى كانت تخالجهم ، وخف الأسى البالغ عليه باعتقادهم أنه مات على الأقل ميتة كريمة وقضى نحبه عزيزاً مكرماً . . .

وجاء نابوليون فى الاجتماع التالى يوم الأحد إلى الساحة الكبرى ، فألقى مرثية فى تأبين الحصان الراحل ، والفقيد العزيز.

وقال إنه لم يتيسر نقل رفات الرفيق المأسوف عليه لدفنه فى المزرعة ، ولكنه أصدر الأمر بوضع إكليل من الزهر والغار فوق قبره ، وإن فى نية معاشر الخنازير إقامة حفل تأبين بعد بضعة أيام لتقديس ذكرى البطل وتخليد الراحل الكريم.

وختم نابوليون رثاءه بتذكير السامعين بالكلمات المأثورة عن

الفقيد ، وهى قوله « سأضاعف الجهد » و « نابوليون أبداً على حق » تلك الكلمات الخالدة التى يحسن بكل فرد فيهم أن يتخذها لنفسه شعاراً ، ويجعلها نبراساً له فى الحياة .

وفى اليوم الذى حدد لإقامة الحفل أعلن الخنازير أن الحفلة ستتبعها مأدبة .

وجاءت من البلد القريب فى صبيحة ذلك اليوم الموعود مركبة بدال ، تحمل صندوقاً خشبياً ضخماً فوقفت بباب الدار وحمل الصندوق إليها

وفى تلك الليلة طرقت أسماع الحيوانات من جانب البيت أصوات غناء وصخب ، ثم تلتها جلبة شجار ، ولم تسكن الضوضاء فى الدار إلا بعد موهن من الليل عقب تحطم الزجاج وتناثر شظايا الكؤوس والأباريق . . .

ولم يخرج أحد فى اليوم التالى إلا مع الضحى

وشاع فى المزرعة أن الخنازير اشتروا بما اجتمع لديهم من المال قدراً وفيراً من الخمر ، ونعموا بليلة شراب وقصف . . . وعربدة !

— ١٠ —

ومضت أعوام . . .

وتعاقبت المواسم والفصول

وتقدمت بالحيوانات السنون .

وأتى على المزرعة حين من الدهر لم يبق فيها أحد يذكر الأيام التى سبقت عهد الثورة ، غير كلوفر ، وبنيامين ، والغراب الأسحم موسى ، وطائفة من الخنازير .

ومات موربيل ، وذهبت بلوبل وجيسى وبنسر فى الهالكين وقضى السيد جونز أيضاً نحبه ؛ فى مصحة للمدمنين بموضع سحيق .

وأصبح « سنوبول » نسياً منسياًّ ، وسحب الدهر على ذكراه أذيال العفاء .

ولم يعد فى القوم من يذكر المجاهد « بوكسر » إلا قليل .

ولم تعد « كلوفر » كما عهدنا ، والدهر فتى ، والحياة ناضرة ، بل أمست فرساً ضخمة مترهلة عجوزاً متخاذلة السوق دامعة العينين من الضعف وتقدم العمر

وكانت قد تجاوزت سن الاعتزال بعامين ، ولكن الواقع أن أحداً من القوم لم يحل إلى المعاش ، ولا ترك الذين تقدمت بهم الأعمار ليخلدوا إلى الراحة ، ويستمتعوا بالتقاعد ، قبل الممات .

ونسى الناس ما كان يقال عن تخصيص مكان للمتقاعدين حتى يقضوا البقية الباقية من أيامهم فى راحة وسكون ، فلم يبق لهذه الفكرة من أثر ، ولا عاد أحد إلى حديثها فى يوم من الأيام.

وبدا نابوليون يومئذ حلوفاً ضخماً يمشى وئيداً ويسير بخطى ثقال .

وأصبح « سكويلر » من فرط السمن بحيث لا تكاد عيناه تبدوان من وجهه المنتفخ ، وسحنته المتورمة .

ولم تَعْدُ الدنيا على بنيامين ، فظل الأوحد الذى لم يتغير ، ولم يتبدل ، وإن علا المشيب خطامه ، واشتد بعد ممات « بوكسر » صمته وإطراقه وتبرمه بالعالم والحياة .

وكثرت الحيوانات وازداد السكان ، وإن لم تكن الزيادة كبيرة إلى الحد الذى كان منتظراً فى السنين الأولى من العهد الجديد .

وقد خرج إلى الدنيا نشء لم يعرفوا الثورة إلا سماعاً ، ولم

يتلقوا قصتها إلا من أفواه المخضرمين والقدامى ، وآخرون طرأوا على المزرعة ولم يسمعوا من قبل مقدمهم بها

وأصبحت فى المزرعة ثلاثة خيول بجانب كلوفر ، وهم عمال مجتهدون ورفاق صالحون ولكنهم حمقى ضعاف الإدراك ، فلم يستطع واحد فيهم أن يتعلم أكثر من الألف والباء ، وصدقوا كل ما قيل لهم عن الثورة ومبادئها ، مما كانت تقصه كلوفر عليهم ، وكانوا يحترمونها احترام الأولاد للأمهات ، وإن كان فهمهم لتلك التعاليم مشكوكاً فيه .

وكانت المزرعة قد نمت يومئذ وربت ، وامتدت فيها الحقول واتسقت المروج .

وحالفها التوفيق بعد مطال الزمن فأتمت بناء الطاحون ، وتوافرت لها آلة درس للقمح ، ومذراة للتبن ، وقامت فيها عدة أبنية ودور .

واشترى السمسار « ويمبر » لنفسه « دوكاراً » .

ولكن الطاحون لم يستخدم لتوفير القوى الكهربائية ، وإنما انتفعوا به فى طحن القمح فجاء بكسب وفير .

وأقبل القوم على إعداد طاحون آخر وهم يرجون أن يتمكنوا من تركيب المحركات ، إذا تم البناء .

ولكن لم يعد أحد يتحدث عن البناء وألوان الترف التى طالما وصفها لهم سنوبول وعلمهم كيف يحلمون بها ويرسلون أخيلتهم فى أثرها .

لم يعد أحد يتحدث عن المذاود والمرابط المضاءة بالكهرباء ولا عن الماء يأتى ساخناً عند المشيئة ، أو يأتى بارداً صارداً فى حر الصيف واشتداد الهجير .

وانقطع الحديث عن العمل ثلاثة أيام فى الأسبوع ، والإراحة ثلاثة أخرى أو تزيد .

ومضى نابوليون يستنكر هذه الأحلام ، ويندد بتلك الأوهام ويقول إن التعاليم والمبادئ الجديدة منها براء .

وطفق يقول إن أصدق السعادة هى فى الدأب والتقشف والقصد .

وبدا على المزرعة كأنها قد استحالت إلى أرض غنية ، وإن لم تتيسر حال الحيوانات أنفسهم ولم يتحسن عيشهم ، خلا معاشر الخنازير والكلاب .

ولعل مرجع ذلك من بعض النواحى إلى كثرة الخنازير ، ووفرة الكلاب ، لا إلى فراغهم من العمل أو انصرافهم عن الجهد ، من حيث المزايا والمواهب والصفات . . . !

لقد كانوا يعملون ، ولهم طريقتهم فى العمل .

أليس الإشراف عملا ، ألا يتطلب التنظيم جهداً ؟ كذلك كان « سكويلر » يقول فى الشرح ، ويحتج فى البيان ، بل هذا نوع من العمل يجهله الآخرون ولا يصلحون لمثله .

وقد مضى سكويلر فى شروحه يقول لهم إن معاشر الخنازير مثلا ينفقون الساعات الطوال فى كل يوم ، ويحملون على أنفسهم فى العمل والدأب ، بسبيل شئون وتنظيمات وأعمال تحرير وتنظيم ، تدعى « الملفات » و « التقارير » و « المحاضر » و « المذكرات » .

وهى صفحات عدة من الأوراق تكتب وتملأ سطوراً ، وكلما سودت فلم يبق فيها موضع بياض ألقيت فى النار لتذهب طعمة لها ، وقذف بها فى الأتون لتعدم ولا يبقى لها من أثر ، لأن ذلك فى مصلحة المزرعة ، وخيرها العام

هكذا كان سكويلر يقول لهم بمنطقه العجيب ، وبيانه الخلاب . . .

ولم يكن أحد من معاشر الخنازير وأشياعهم معاشر الكلاب ينتج طعاماً بعمله ، أو يبذل جهداً فى سبيل الغذاء وهم كثرة وافرة ، وشهوتهم إلى الطعام حادة ، وبطونهم تسأل هل من مزيد . . .



« وصية واحدة » ص ١٨٣



« نابوليون ... (أيها السادة لنشرب جميعا نخب مزرعة الذوات) » ص ١٩٠

أما الآخرون فقد ظل عيشهم كعهده أبداً ، من الجوع ، والنوم على القش ، والشرب من الترعة ، والكدح فى الحقل ، ومقاساة البرد القارس فى الشتاء ولذعات الهوام والحشرات إذا حل الصيف .

وقد تأتى أحياناً لحظات على بعضهم ، وهم الأشياخ والمتقدمون فى الأسنان ، يحاولون فيها كد ذاكرتهم ، ليعرفوا هل كان العيش أفضل من ذلك ، أم أسوأ ، إبان الثورة ، وقيام العهد الجديد ، فلا يذكرون من ذلك شيئاً ، ولا تستجيب حافظاتهم الضعيفة لشيء ، ولا يجدون ما يسعفهم على المقارنة بين الأمس واليوم ، فلا يسعهم غير الإصغاء إلى أرقام سكويلر وإحصاءاته ، وهى بلا شك تبين أن العيش اليوم أفضل وأنضر ، والحياة الحاضرة أحسن منقلباً ، وأطيب مرتفقاً .

ولكن معاشر الحيوانات وجدوا هذا الأمر مشكلة مستعصية ومسألة لا سبيل فيها إلى وجه اليقين .

ولم تكن لديهم فسحة من الوقت ليتفكروا فيه ، أو يتحروا الحقائق ، وهم الكادحون المكدودون ، إلا « بنيامين » العجوز فقد صارحهم بأنه لا يزال لدقائق الماضى وأحداثه ذاكراً ، وأن الحياة كما كانت بالأمس ، فلم تتحسن ، ولم تزد سوءاً ،

وإنما مضت كشأنها جوعاً ، وسغباً ، وشقوة وعناء ، وخيبة رجاء . . .

ولكن الحيوانات مع ذلك كله لم تيأس ، ولا فقدت لحظة واحدة الشعور بالعزة والفخار بانتسابها إلى المزرعة ، وهى البلد الأوحد فى العالم الذى تملكه الحيوانات وتحكمه وتدير شئونه ، ولم يكن أحد منهم حتى الأحداث فيهم والطارئين من القرى البعيدة يكف عن الشعور بهذا الاعتزاز ، وكلما أطلقت القذيفة ، وشوهد العلم الخفاق فوق السارية ، سرت العزة فى النفوس ، واستفاضت الأحاديث عن الأيام الخالية ، وعهود البطولة ، ومجد الثورة ، وظهور الوصايا السبع ، ونشوب المعارك الحامية فى سبيل الخلاص من الطغاة والمستأثرين .

وبقيت الأحلام والأمانى القديمة تخالج الصدور ، وظلت « الجمهورية » التى كان الحلوف الأكبر يتحدث عنها ، أملا مداعباً للخواطر والأذهان .

تلك الجمهورية « المثالية » ذات المروج النضر التى لا أثر فيها لطاغية ولا مستثمر مستغل .

إنها بلا ريب آتية . . فى يوم ما ، وقد لا يكون قريباً ، وقد لا تتحقق فى حياة الأحياء منهم والمعمرين ، ولكنها آتية

على الدهر ما فى ذلك من شك .

بل إن ذلك النشيد القومى الذى وضع بعد الثورة ظل فى خفية يغمغم به أحياناً ، وتخافت الأصوات بأنغامه .

لقد كان كل فرد فى المزرعة به عليما ، وإن لم يجرؤ على التغنى صراحة به ، أو يرفع الصوت بلحنه الفريد .

وقد يكون العيش قاسياً ، وفى النفس حاجات لا تزال معلقة ، لم يتحقق منها شىء ، ولكنهم كانوا جميعاً يشعرون بأنهم ليسوا والحيوانات الأخرى سواسية ، فإن جاعوا ، فليس جوعهم من طغيان طغاة ، ولا أثر من استبداد مستبدين ، ولكنه جوع من قلة المحصول ، أو نقص فى الثمرات والغلات والإنتاج . وإن هم كدوا وكدحوا ، فإن كدحهم لأنفسهم ، وهم فى الكد أحرار ليس لأحد عليهم سلطان ، وما فى جمعهم مخلوق يمشى على اثنتين ، ولا فرد يدعو أحداً « السيد » أو يدين له بالخضوع ، بل هم جميعاً سواء لا عبد ولا سيد ، ولا رقيق ولا مولى ، ولكنهم أحرار بغير استثناء . . .

وفى ذات يوم ، إبان مقدم الصيف ، أمر « سكويلر » الغنم بأن يتبعوه ، وذهب يقودهم إلى قطعة أرض قفر فى أقصى طرف من المزرعة ، هاش فيها الشجر واستغلظ ، فقضى

الغنم طيلة النهار يلقفون بأفواههم الأوراق ويعرون الغصون منها تحت عين سكويلر ورقابته .

ولما أقبل المساء عاد إلى المزرعة وحده ، وطلب إلى الغنم البقاء ، بذلك الموضع ، لأن الحر شديد ، والقيظ يوجب المقام .

وانتهى الأمر ببقائهم فى تلك الأرض أسبوعاً كاملا ، لم ير الحيوانات الأخرى منهم أحداً خلاله ، وإن لبث سكويلر معهم أكثر النهار وجل ساعاته ، قائلا لهم إنه يريد أن يعلمهم التغنى بنشيد جديد يقتضى أن يأخذوه سرًّا عنه ، ويتدربوا خفية على إنشاده .

وعاد الغنم إلى المزرعة فى ذات مساء رائق النسيم ، وقت أن كان الحيوانات عائدين من العمل ، وإذا بهم يسمعون صهيلا يرتفع من جانب « الدار » فبهتوا له ، ووقفوا عن المسير لينصتوا مرة أخرى إليه .

وإذا بهم يدركون أنه صهيل . . . كلوفر !

فلم يلبثوا أن أسرعوا خبباً إلى الموضع .

وعندئد رأوا ما رأته . . . رأوا خنزيراً يمشى على ساقيه الخلفيتين مستوى القامة كالإنسان . . . !

وكان ذلك الخنزير هو . . سكويلر بالذات . . .

وكان مضطرباً فى مشيته ، لأنه لم يكن قد ألف بعد الاعتماد على ساقيه الخلفيتين فى حمل بدنه المترهل الضخم وإن توازن عليهما ، وراح يجتاز الفناء .

ولم تمض لحظة أخرى حتى لمحوا صفاً مستطيلا من الخنازير يخرجون من الدار قياماً على سوقهم الخلفية ، وهم متفاوتون فى المقدرة على المسير بهذه الصورة والاستواء على هذه الحال ، وفيهم فريق اضطربت مشيته ، ولم يستكمل توازنه ، كأنما يحتاج إلى عصا يستند إليها ، وإن مضوا جميعاً يدورون حول الفناء فى . . . « طابور » !

وتلا هذا العرض العجيب نباح يملأ الفضاء ، وصيحات من الديك الأسود ، ولم يلبث أن خرج نابوليون نفسه مستوياً فى جلال على ساقيه ، ملقياً نظرات ملؤها الكبرياء من حواليه ، والكلاب تتوثب حافة به .

وكان يحمل فى إحدى ساقيه الأماميتين سوطاً .

وساد سكون رهيب . . .

ووقف الحيوانات مبهوتين ، مروعين ، متلاصقين ، ينظرون إلى ذلك الصف المستطيل من الخنازير وهم يطوفون الفناء .

لقد خيل للقوم أن الدنيا انقلبت رأساً على عقب .

ولكن ما كادت لحظة الدهشة تنقضى ، حتى هموا بإرسال صيحات احتجاج ، برغم خوفهم من الكلاب الضارية ، وبرغم العادة المستمكنة منهم على مطال السنين ، عادة الرضا والخضوع ، والامتناع عن الشكاة ، والانصراف عن النقد أو الاعتراض .

ولكن الأغنام فى تلك اللحظة بالذات لم تلبث أن رفعت أصواتها جملة واحدة ، كأنما أعطيت إشارة ما ، وراحت تردد فى نغمة منظمة : « كل ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أفضل . . . »

ومضوا يكررون هذا اللحن الرتيب طويلا ، وما إن هدأت منهم الأصوات ، حتى كانت الفرصة قد ضاعت على القوم فلم يتوات لهم الاحتجاج ، إذ رأوا الخنازير تنكفىء راجعة إلى الدار كما أتت .

وأحس بنيامين عندئذ أنفاً يلمس كتفه ، فدار بعينه ليرى لمن الأنف الذى لمسه .

وكانت كلوفر هى التى أرادت أن تنبهه من ذهلته ، وقد بدت عيناها كليلتين بل أشد من قبل كلالا ، وإذا بها تتناول معرفته برفق وتقتاده فى صمت إلى « الجرن » حيث علقت الوصايا السبع .

ووقفا لحظة ينظران إلى الجدار القائم حيالهما والكلام المكتوب فوقه .

وخرجت « كلوفر » أخيراً عن صمتها ، فأنشأت تقول إن بصرى قد كَلَّ ، وقد كنت فى ريعان عمرى لا أستطيع قراءة ما هو مكتوب على الجدار فكيف بى اليوم وقد تقدمت السن بى ، ولكن يخيل لى أنه ليس كما كنت أعهد ، فانظر يا أخى بنيامين هل الوصايا السبع باقيات على عهدها . . . ؟

ولأول مرة خالف بنيامين القاعدة التى وضعها لنفسه ، فمضى يقرأ عليها الكلام المكتوب على الجدار ، وإذا به لا يعدو وصية واحدة ، تقول :

« جميع الحيوانات سواسية ولكن بعضها أكثر مساواة من الأخرى »

ولم يكن غريباً بعد هذا أن يبدو معاشر الخنازير فى اليوم التالى وهم يشرفون على العمل فى المزرعة حاملين فى أيديهم «سياطاً» ، ولا كان عجبـاً أن يبتاعوا من الغداة جهازاً لاسلكيـاً وعدة تليفون ، ويشتركوا فى طائفة من الصحف والمجلات العالمية ، ولا بدت غرابة فى ظهور نابوليون ، وهو يمشى ذهاباً وجيئة فى منافس الحديقة وغليون التبغ فى فمه ، ولا فى

ارتداء الخنازير الثياب التى وجدوها فى دواليب الدار وقماطرها .

وبدا نابوليون نفسه فى ثوب أسود ، وحلة رسمية .

ولم ينقض أسبوع حتى وقفت فى الأصيل عدة مركبات بباب الدار وتبين أن وفداً من الزراع فى القرى المجاورة جاءوا يستقلونها تلبية لدعوة وجهت إليهم ليتفقدوا المزرعة ويطوفوا بأرجائها .

وقد أبدوا إعجابهم بما رأوا ، ولاسيما بالطاحون .

وكان الحيوانات يعملون عندئذ فى تنقية حقول الكرنب من الأعشاب والعيدان الهائشة ، وهم فى نشاط ظاهر ، مطرقون إلى الأرض لا يرفعون رءوسهم ، حائرون لا يدرون هل يخافون من الخنازير أم هم من الناس أخوف . . . ؟

وفى تلك الليلة طرقت أسماعهم من جانب الدار جلبة شديدة اختلطت فيها الضحكات بالأناشيد والأغانى ، فوجموا لما سمعوا وانتابهم فضول غريب ، فطفقوا يتساءلون ماذا جرى حتى أصبح الحيوانات لأول مرة بعد الثورة ، على قدم المساواة مع خصومهم السابقين .

وبدأ القوم جميعاً يتسللون فى رفق إلى الحديقة .

ولكنهم عند الباب وقفوا مشفقين من التقدم .

وتشجعت عندئذ « كلوفر » فمشت فى الطليعة مستبقة .

وعلى أطراف الأقدام دنوا من الدار ، ومضى الطوال منهم يطلون على قاعة الطعام مشرئبى الأعناق .

هنالك حول المائدة المستطيلة جلس ستة زراع إلى مثلهم من الخنازير الأكابر ، فى حين احتل نابوليون مكان الصدارة من الحفل ، وبدا الخنازير مستريحين فى مقاعدهم ، كأنما قد ألفوا الجلوس فيها من عهد بعيد .

وكان القوم قبل لحظة واحدة يلعبون الورق ، ويقامرون ، ثم كفوا عن الميسر ، ليتعاطوا الشراب نخباً بينهم .

وطاف الغلمان عليهم بأباريق وقوارير .

ولم يفطن أحد منهم إلى وجود الحيوانات التى كانت واقفة تطل من خارج النافذة وقد علتها الدهشة ، وسرى فى معالمها العجب .

ونهض السيد « بلكنجتون » ، رب زرعة « فوكسوود » والكأس فى يمينه .

واستأذن الحفل فى إلقاء كلمة موجزة يجد لزاماً عليه أن يقولها قبل أن يشرب نخب الحاضرين .

وأنشأ يقول إنه من دواعى اغتباطه — واغتباط السادة

الحاضرين ، من غير شك – أن ينتهى عهد طويل من سوء التفاهم والريبة المتبادلة ، فقد أتى حين من الدهر كان أصحاب هذه المزرعة الموقرون يُنْظَر إليهم ، لا بعين الخصومة والعداء ، ولكن بعين التطير والريبة ، من جانب جيرانهم المزارعين ، بعد أن جرت أحداث يؤسف لها ، وانتشرت روايات وأفكار وظنون لا محل لها ولا أساس ، بسبيل المبادئ التى يعتنقونها والتعاليم التى يحاولون بثها فى القرى الأخرى والدساكر المجاورة فقد شعر الزراع بأن قيام مزرعة يتولى الخنازير إدارتها ويشرفون على حكمها وتدبير شئونها ، عمل شاذ ، وظاهرة غير مألوفة ، قد تحدث أثراً بالغاً فى المزارع التى تحيط بها ، وقد رأينا فريقا كبيراً من الزراع يعتقدون اعتباطاً ، وبغير بحث ولا تحقيق ، أن الفوضى ضاربة فى هذه المزرعة أطنابها ، والإباحية مطلقة العنان والفساد عام فى كل مكان ، فلا غرو إذا اشتد فى نفوسهم القلق على قراهم ، واستولى الخوف عليهم ، من أثر انتشار عدوى هذه المبادئ والتعاليم ، إلى الحيوانات الأخرى لديهم ، وجمهرة الدواب والأنعام .

ولكن هذه المخاوف قد زالت الآن وتبددت ، فقد زار هو وصحبه المزرعة ، وطافوا بأرجائها وعاينوا كل شبر فيها .

فماذا وجدوا . . . ؟ ؟

لقد وجدوا المزرعة تجرى على أحدث الأساليب ، ويسودها أدق النظام ، وشاهدوا إدارة حازمة تصح أن تكون مثلا نحتذيه جميعاً فى مزارعنا ، ونظاماً أولى بالاتباع فى كل مكان .

وقال إنه يعتقد أنه لا يجافى الحقيقة إذا هو أعلن أن الطبقات الدنيا من الحيوانات فى هذه المزرعة أكثر عملا ، وأقل غذاء ، من إخوانهم فى البلاد الأخرى ، وأنه هو وأصحابه الذين جاءوا وانتظمهم هذا الحفل البديع لاحظوا عدة أشياء وأنهم ينوون أن يدخلوها فى الحال على نظامهم وأساليبهم فى الإدارة والحكم والتوجيه .

وقال إنه لا يريد أن يختم خطابه قبل أن يؤكد مرة أخرى حسن العلاقات بينهم وبين المزرعة ، وطيب الصلات ، وإنه لا ينبغى بعد اليوم أن يقوم خلاف بين الخنازير والناس ، أو يقع اصطدام بين المصالح والأهداف ، فإن مشاكل الفريقين ومتاعبهما واحدة ، أليست مشكلة العمل والعمال عامة فى كل بلد ، متشابهة فى كل قطر ؟ !

وهنا ظهر على الخطيب أنه يهم بأن يرسل « نكتة » رائقة خطرت له ، ولكن الضحك استولى عليه فلم يستطع من شدته

النطق بها ، وإن كان قد تمهل لتهدأ قهقهته ، ويسترد رزانته فلم يلبث أن مضى يقول : وإذا كانت لديكم معاشر الخنازير مشكلة تواجهكم ، وأعنى بها مشكلة الحيوانات الدنيا ، فلدينا نحن مشكلتنا أيضاً ، وهى مشكلة الطبقات الكادحة أو الأيدى العاملة .

فلم يكد القوم يسمعون هذه الكلمة حتى ضجوا ضاحكين واستتلى الخطيب يكرر التهنئة لمعاشر الخنازير بهذا النظام البديع الذى أقاموه ، بتقليل « الجرايات » ، وزيادة ساعات العمل وانتفاء كل أثر للاتجاهات المتسخطة والعناصر المتبرمة المتذمرة من الحكم القائم فى البلاد .

وقال إنه الآن يطلب إلى السامعين الوقوف والإمساك بكؤوسهم المترعة ليشربوا نخب « المزرعة الفاضلة » . . . مزرعة الحيوانات .

ودوى الهتاف للخطيب تصفيقاً بالأكف ، وضرباً بالأقدام وبلغ من سرور نابوليون وابتهاجه أن غادر مجلسه ودار حول المائدة ليقرع كأسه بكأس « بلكنجتون » قبل اشتفافها .

ولما هدأت عاصفة التصفيق انبرى نابوليون وكان لايزال مستوياً على ساقيه المؤخرتين يقول إن لديه كلمة موجزة يريد أن يقولها .

وكانت خطبته كعادته وديدنه قصيرة وفى الصميم .

قال إنه أيضاً مغتبط بانقضاء عهد الريبة وزوال سوء التفاهم، فقد مضت فترة من الزمن والإشاعات تشاع ، من طريق خصم خبيث ، وعدو سيئ الدخيلة ، بأن فى تعاليمهم عنصراً هداماً ، وثورة جامحة على المبادئ المقررة ، والتقاليد المرعية ، حتى لقد اتهموا بأنهم يحاولون نشر الثورة ، وبذر بذور المبادئ الهدامة فى القرى والمزارع المجاورة ، ولكن ما أبعد هذا الاتهام من الحق ؛ فإن كل ما يبغونه الآن ، وما كانوا ينشدونه فيما مضى ، هو العيش فى سلام وتعامل وتواصل مع جيرانهم ، لأن هذه المزرعة التى يتشرف بحكمها وإدارة شئونها إنما تقوم على أسس تعاونية ، وإن وثائق ملكيتها تحت يده ، وهى تثبت أن أصحابها هم الخنازير دون شريك أو زميل .

وقال إنه يعتقد أن الريبة القديمة لا يزال لها أثر فى النفوس، وأن التعديلات التى تمت أخيراً فى نظام المزرعة وأساليب إدارتها من شأنها أن تزيد الناس ثقة بها وطمأنينة إليها، فقد كان الحيوانات هنا قد جروا على عادة سخيفة ، وهى مناداتى « بالرفيق » ! ولكن هذه العادة قد أبطلت ، وكانت هناك أيضاً عادة أخرى لا أدرى من أين أتت ، وهى إقامة عرض

عام فى صبيحة أيام الآحاد للسير قبالة « جمجمة » معلقة فوق عمود فى الحديقة ، ولكن هذه العادة أيضاً ستلغى فلا يبقى لها من أثر فى النظام الجديد ، وقد عمدنا إلى تلك الجمجمة فدفناها تحت أطباق الثرى ليسحب النسيان عليها ذيل العفاء ؛ ولعل الأضياف قد لاحظوا كذلك العلم الأخضر المنصوب فوق السارية ، ولعلهم فطنوا أيضاً إلى ما عراه من التغيير فقد محى الشعار الذى كان قديماً منقوشاً عليه ، وهو « الحافر والقرن » ليكون العلم أخضر « سادة » من الآن .

ومضى يقول إن لديه نتقاداً واحداً على ما جاء فى الخطاب الرائع البديع الذى ألقاه ضيفه الكريم ، فقد ظل فى خطبته يتحدث عن المزرعة بقوله « مزرعة الحيوانات » ، ولكن أكبر الظن أنه لم يدر أن هذا الاسم قد ألغى كذلك ، وأن المزرعة سيطلق عليها من الآن « مزرعة الذوات » وهو اسمها الأصيل الصحيح .

وختم نابوليون خطابه قائلا : « أيها السادة .. سأشرب نخبكم ، ولكن على طريقتى ، املأوا الكؤوس إلى حفافيها ولنشرب جميعاً نخب « مزرعة الذوات » !

ودوى الهتاف كما دوى من قبل أو أشد .

واجترعت الكؤوس حتى الثمالة .

ووقف معاشر الحيوانات خارج الدار ينظرون الى هذا المشهد مبهوتين كأنما خيل إليهم أن حدثاً غريباً قد وقع ، وخطباً رهيباً قد جرى ، وهم يتساءلون ماذا غير سحنات الخنازير وبدل وجوههم إلى هذا الحد . . . ؟

ولبثت عينا « كلوفر » الكليلتان تتنقلان من وجه إلى آخر ، وتطوفان بالسحنات التى تراءت لهما ، وهى فى عجب مما تريان.

لقد بدت الوجوه منكرة ، بعضها قد ركبت فيه خمسة ذقون ، وأخرى تلوح بأربعة ، وغيرها تبدو بثلاثة .

فما الذى غيرها هذا التغيير ، وأحالها إلى هذه الصور الغرائب . . . ؟

ولم يكد الهتاف ينتهى حتى عاد الندامى إلى الميسر والشرب وكانوا من قبل ماضين فيه .

وتسلل الحيوانات فى رفق منصرفين .

ولكن ما إن ساروا غير بعيد حتى وقفوا عن المسير .

فقد تعالت من الدار ضجة بالغة جعلتهم يعدون سراعاً إلى الموضع الذى كانوا وقوفاً فيه ، وراحوا يطلون على القوم من وراء النافذة .

وإذا بهم يشهدون شجاراً عنيفاً فى القاعة ومعركة حامية ، وهم يصرخون ويضربون المائدة بجمع أيديهم ، ويتبادلون النظرات المريبة ، والصياح المنكر ، وكل فريق للآخر مكذب ما يقول.

وتبين من الأصوات المختلطة ، والصيحات المدوية ، أن نابوليون والسيد بلكنجتون اختلفا على « الآس » أيهما كان أولى بإلقائه من صاحبه .

لقد ارتفع اثنا عشر صوتاً فى غضب محتدم ، وحنق بالغ.

ولم يعد مستدقاً على أفهام الحيوانات التى وقفت ترى هذا المشهد ، سر هذه السحنات المتغيرة ، وباعث هذا التبدل العجيب فى الوجوه .

لقد تشابه الخنازير والناس ، ولم يبق من فارق بين الطغاة الجدد ، والطغاة الغابرين .

كلهم مستثمر ، وكلهم مستغل ، تجمعهم صفة واحدة ، وهى الاستئثار والطغيان .

وكذلك وقف الحيوانات ينظرون إلى الخنازير ، ثم يعودون فينظرون إلى الآخرين ، وهم لا يعرفون من هم الخنازير فيهم ومن هم معاشر الخصوم السالفين . . .

